16/9/99

١٠٩٧
دار م. النحاس
1097
HARLEQUIN

ذاك الرجل

فاليري بارف

www.elromancia.com

مـــرمـــوريـــة

ذاك الرجل

فاليري بارف

كان عالم جيل بأكمله مهدداً، ولم يكن هناك من يساعدها سوى مايكل ميداس ثورن مهندس المناجم، فإذا هو وافق على السماح لها بمقابلته والكتابة عنه فستحصل على علاوة وترقية، وكانت هي بحاجة ماسة للحصول على نقود لكي تتمكن من تمويل معركة الوصاية على ابنتها بينها وبين زوجها السابق، وبدون المال ستخسر ابنتها جورجينا ذات الست سنوات.

ظنت جيل ان ميداس سيتفهم عذابها، خاصة وقد عانى هو أيضاً من خسارة كبيرة، ولكنها كانت تعلم أيضاً أنه كان يكره الصحافة... فقد كان رجالها يلاحقونه إلى أن تسببوا بموت زوجته وطفلة. هل يمكنها أن تحصل على ثقته؟ وربما حبه؟

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان ١ ريال - تونس: ٢ دينار

«ما هي اللعبة التي تقومين بها؟»

استدارت جيل بحركة مفاجئة وهي تتشبث بمنشفتها التي أوشكت على السقوط، ثم قالت: «ليس لدي اي عذر، كنت اعلم انك ستأمر بطردي، وهكذا تملكتني رغبة طارئة بأن امنعك من ذلك.»

«هذا لا يفسر وجودك هنا أصلاً، ظننتك رحلت مع دانييل منذ ساعات.»

فقالت بسرعة مدافعة عن الطيار: «عليك ان لا تلوم دانييل براساد، فقد اخبرته بأنك دعوتني للبقاء هنا هذه الليلة.»

«أحقاً؟ ولكن كان عليه ان يسألني قبل ان يمتثل لما تقولين.»

«لقد أراد ذلك، ولكنني جعلته يفهم انك... اننا...» ولم تستطع الاستمرار، فقال مكملاً كلامها: «حبيبان؟»

فاليري بارف

فاليري بارف - كان لديها مهنة مليئة بالمشاغل والنجاح بصفتها صحافية قبل ان تبدأ بالكتابة لدار النشر هارلكوين سنة ١٩٨٢، وهي عضو متحمس لعدد من منظمات الكتاب الاسترالية... اهتماماتها العديدة تتضمن زوجها، وقطتها، والبيئة الاسترالية، وحب فاليري للأرض واضح في كثير من كتبها، وهي تعيش في نيو ساوث ويلز.

١٠٩٧ عبير

Abir 1097

ذاك الرجل

فاليري بارف

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

«عيد مولد سعيد... عيد مولد سعيد... عيد مولد سعيد، يا ماما.»

وإذ سمعت جيل كايسي صوت ابنتها الحاد شعرت بغصة في حلقها واسندت جبهتها على قاعدة الهاتف البلورية الباردة، وتوترت اصابعها على سماعة الهاتف وهي تحاول جاهدة، السيطرة على مشاعرها، انها ستستعيد جورجينا، فهذا الفراق بينهما هو مؤقت.

وقالت بصوت أبح، من الحب، لطفلتها: «شكراً، يا جورجينا، ما أجمل هذا.»

«هل عمرك اكثر من ست سنوات، يا ماما؟»

«نعم يا حبيبتي، اكثر كثيراً.» وفكرت بمرارة انها فوق ذلك بعشرين عاماً.

«وهل سيكون لك قالب حلوى مع الشموع؟»

«اظن ذلك.» كان من الصعب على طفلة في السادسة ان تتصور عيد مولد من دون قالب كيك وشموع، ولكن جيل لم تعرف من سيحضر كل هذا، طبعاً ليس بيل داوني الفظ رئيسها في تحرير صحيفة صوت سيدني، حيث تعمل في قسم الريبورتاجات، ومن المؤكد طبعاً انه ليس زوجها السابق تيري، فهو لن يمنحها أي جزء من وقته، فكيف بقالب حلوى؟

وعادت ابنتها تخبرها: «لقد رسمت لك بطاقة عيد وعليها زهور، وقد وضعتها كاي لي في البريد.»

وكانت كاي لويد هي مربية جورجينا. «اشكريها عني، وأنا ساحتفظ بالبطاقة على الدوام.»

قالت جيل ذلك وقد تضخمت الغصة في حلقها، كم من الوقت اكثر من هذا تستطيع ان تتحمل فراق ابنتها؟

وأجابها صوت في داخلها يقول، طوال الوقت الذي يستغرقه فوزك في استعادة جورجينا، ووقفت بقامتها البالغة مائة وسبعين سنتمتراً.

لم تكن تبدو طويلة القامة بالنسبة إلى تيري، زوجها السابق البالغ مائة وثمانين سنتمتراً طولاً ولكن عزمها كان يفوق تفوقه البدني، انها لم تستطع حالياً ان تنافس تفوقه المادي، ولكنها كانت مصممة على تجاوز هذه العقبة أيضاً، ذلك انها اذا رقيت إلى نائبة رئيس التحرير فسيزداد أجرها تبعاً لارتفاع درجة الوظيفة التي ستحصل عليها، عند ذلك يمكن ان تكون أوفر حظاً في الاستئناف ضد قرار المحكمة بمنح تيري حق الوصاية على طفلتهما.

أرغمت نفسها على التركيز على حكاية جورجينا عن بعض الصبية الغاضبين الذين كانوا يتحكمون فيها في روضة الاطفال، وفجأة لم تعد جيل تستطيع الاستمرار في تبادل الحديث. فقد كان صوت جورجينا يزيدها شوقاً إلى احتضانها وإمطارها بقبلاتها. كانت هذه هي الحقيقة. فمسرحية الزيارات الأسبوعية هذه ومخابرة التهنئة بالعيد كانت كابوساً تريد انهاءه حالما تتمكن من ذلك قانونياً.

ثم قالت حالما انتهت جورجينا من حكايتها التي تخطف الأنفاس، قالت لها: «دعيني اتحدث إلى كاي يا حبيبتي.»

وإذا بصوت المربية يأتي إلى الخط: «انا هنا، يا سيدة كارسي، لقد وضعت بطاقة جورجينا إليك في البريد أمس.»

«شكراً، هذا لطف بالغ منك.» واخذت تحقق مع المربية عن الصبية الغاضبين في قصة جورجينا، وتملكها الارتياح وهي تسمع ان المشكلة قد حلت إذ قالت للمربية: «لا اريد ابداً ان تسمح المعلمات في المدرسة بأن يخيف احد جورجينا.»

«لقد طمأنتني المعلمات إلى ان ليس ثمة سبب يدعو للاهتمام، يا سيدة كايسي.»

أرادت جيل ان تصرخ بالمربية، ولكن هذا يهمني كثيراً... ألا تفهم هذه المرأة مقدار العجز الذي شعرت به جيل، وهي تعلم ان لدى ابنتها مشكلة في المدرسة بينما لا تستطيع هي ان تفعل شيئاً بذلك الشأن؟ ذلك ان السماح لها بأخذ ابنتها إلى حديقة الحيوانات أو مدينة الملاهي مرة واحدة كل أسبوعين لا يكفي لمشاركتها افراحها ومخاوفها الطفولية.

وعادت تقول للمربية: «هل ستعلمينني بكل ما يجد في هذا الشأن؟»

«طبعاً، يا سيدة كايسي.» وكان في لهجة المربية نبرة استنكار، وأدركت جيل ان المرأة تظن انها تنتقدها، فسكتت، مطمئنة المرأة، رغم ان لها كل الحق في الانتقاد فهذا الوضع لا يطاق. ثم قالت لها: «سأتصل مرة أخرى غداً.»

تنهدت المربية باستسلام عبر الهاتف: «طبعاً، يا سيدة كايسي، اتمنى لك عيد مولد سعيداً.»

المرأة تتمنى لها عيد مولد سعيداً؟ رأت جيل في هذا التمني منتهى السخرية وهي تضع السماعة من يدها، كيف بامكانها ان تكون سعيدة في أي مناسبة قبل ان تصبح مع ابنتها بشكل دائم؟

كان هذا ما لم تفكر به عندما قررت انهاء حياتها الزوجية مع تيري كايسي، ولم يكن هذا يعني انه كان هناك الكثير انهته معه، فقد كان حبها له قد انتهى منذ مدة طويلة، قتله مطاردته للنساء وعدم اهتمامه بمشاعر احد ما عدا مشاعره هو، ولكن الطلاق كان مجرد راحة مؤقتة، ذلك ان جيل لم يخطر ببالها قط ان لطف ورقة تيري غير العادية ستخدع المحكمة إلى حد ترى معه ان تيري هو الشخص المناسب اكثر من أي شخص آخر لرعاية جورجينا.

هل كانوا سيصدقونها لو انها كانت اخبرتهم بعلاقاته الشائنة خارج نطاق الزوجية؟ ربما كلا، فقد كان رجلاً معسول اللسان، لم يتردد في استغلال مركزه الرفيع في سبيل ان يربح قضيته، وظنه القاضي انه حقاً تيري كايسي صاحب اهم برنامج تلفزيوني يعالج مشاكل المتفرجين تماماً كما حدث معها بعد ان تعرفت اليه وعادت إلى اسرتها وهي تظن نفسها قد تعرفت إلى الرجل الحقيقي خلف تلك الصورة المتألقة، وانه امام كاميرات التصوير هو ذاته خلفها، ومن أدرى به من زوجته السابقة؟

وتنهدت، لم تكن صورة تيري هي التي منعتها عن نشر فضائحه النسائية، ولكنها خافت ان تعرف جورجينا بذلك فتتأذى مشاعرها، فقد كانت اصغر سناً من ان تتفهم مثل

هذه الأمور، لقد كان والداها هي قد تطلقا حين كانت هي صغيرة السن، وهي ما زالت تتذكر مبلغ ما تملكها في ذلك الحين، من ألم واضطراب في المشاعر، وهي لهذا لم تستطع ان تسبب لابنتها نفس ما عانته.

وكان محتوماً ان تتناول الصحف هذه القضية بشكل معاد لها، وهكذا نأت جيل بنفسها وبابنتها عن كل ذلك بينما كل ما كان تيري يفعله كان يجذب انتباه الصحافة، وكان من العجيب ان علاقاته النسائية لم تعرف بها الصحافة قبل وقت طويل.

لم تكن تستطيع ان تصدق أن هذا كان منذ سبع سنوات فقط، كانت في الثامنة عشرة في ذلك الحين وصحافية مبتدئة عندما ارسلتها الصحيفة لإجراء مقابلة مع تيري، والذي كان لاعب تنس ممتازاً، فأصابته ضربة قاصمة إذ ان اصابة في ظهره منعته من المشاركة في مباراة دولية، وكادت تقعده تقريباً، ولكن كفاحه في سبيل العودة إلى ما كان عليه، والذي انتهى بالفشل، كان أمراً معروفاً، وكان على جيل ان تصف نهوضه من كبوته، من رماد مهنته كلاعب تنس إلى النجومية كمعلق رياضي في الأولمبياد، وفيما بعد إلى مذيع برامج عالمي.

التوت شفتاها بابتسامة ساخرة، فقد كان تيري وصف قصتها عنه بالحساسية والاهتمام، ودعاها إلى العشاء احتفالاً، بما سماه أول وصف صادق دقيق لحالته ومعاناته.

كان عليها ان تتمسك بالحذر حين حاول ان يستميل إليها عند أول موعد. ولكنها بدلاً من ذلك، تملكها الغرور بنفسها

لاهتمامه بها، ولشخصيته الجذابة، معتبرة رغبته فيها حباً أصيلاً، ولكن امتناعها عنه مع الأسف كما تفكر الآن، جعله يقدم اليها خاتم الزواج، ويا ليته لم يفعل، وإلا لما وصل بها الحال إلى هذا الوضع.

فقد تزوجها لأنه وجد ان هذه هي الطريقة الوحيدة للحصول على ما يريد منها، ولم تكن نيتها وهي ترفض طلبه أن تلجئه إلى الزواج منها رغم انه اتهمها بذلك فيما بعد، فقد كانت تعتبر حقاً ان الحب هو تعهد والتزام وليس كما يقول تيري، مجرد متعة مؤقتة، أو حسب قوله (فترة بعد العشاء)...

ارتجفت لهذا التعبير الجلف! كيف كانت من السذاجة بحيث ترى هذا ذكاءً منه؟

نعم، لسوء الحظ، فهذا ماظنته، فصور زفافها كانت تظهر مبلغ بريق عينيها، وعندما نظرت إلى المرآة الآن، تملكتها الدهشة وهي ترى نفسها لم تتغير كثيراً عما كانت تبدو في تلك الصور، بصرف النظر عما يبدو الآن في نظراتها من حذر، وحول فمها من توتر.

كانت عيناها مازالتا واسعتين بزرقتهما الشاحبة واهدابهما الكثيفة السوداء. ومازالت شفتاها مرتفعتي الزوايا ما يجعلها تبدو اصغر سناً، وكان يساعد في هذا ذلك النمش المتناثر على بشرتها العاجية البياض، البراءة فقط هي التي تلاشت.

اصبح شعرها الآن اقصر مما كان يوم عرسها، كان في ذلك الوقت منسدلاً على كتفيها، أما الآن فخصلات شعرها الجعدة والتي تحيط بوجهها تظهرها أصغر مما كانت،

رغم انها في داخلها، كانت تشعر بأنها كبرت سبعين سنة بدلاً من سبع.

اثناء نظر المحكمة في قضية الوصاية، كان لمظهرها تأثير سيء عليها، إذ قارن القاضي بين مظهرها الطائش وما تبدو عليه من صغر السن، بمظهر تيري الناضج الواثق من نفسه، فلا عجب في انها خسرت القضية.

وأعاد انتباهها إلى الحاضر شيء من الفوضى عبر الشارع، فقد شغلتها ذكريات الماضي عن ان تلاحظ شيئاً كان يجري خارج فندق سيرياس وذلك على مسافة منحرفة نوعاً ما من حيث كانت تقف، واستيقظت فيها الطبيعة الصحفية فتركت مكانها بجانب كشك الهاتف وتقدمت مركزة اهتمامها على ما يحدث.

كان فندق سيرياس واحداً من افخم الفنادق في سيدني واكثرها حداثة، وقد تكون هذه الفوضى بسبب قرب وصول شخصية هامة، واعملت ذهنها، لكنها لم تستطع ان تتذكر شخصاً يستحق مثل هذا التجمع للصحفيين ومصوري وسائل الاعلام في مدخل الفندق. فرئيس التحرير لم يذكر شيئاً لها... رغم انه كان يعلم ان جيل قادمة هذا الصباح، ومهما كانت القصة فلا بد انها حدثت أثناء غيابها، هاتين الساعتين عن المكتب.

لا بد ان رئيس التحرير بيل داوني يتوقع منها تحري هذا الأمر، وإذ كان هناك ترقية في الجو، لم تكن تجرؤ على تخييب أمله فيها، ولكنها تمنت لو ان هذه القصة تحدث في وقت اكثر ملاءمة، ذلك انها حالياً كانت تنوء بعبء تجهيز تقارير عن تأثير البيئة بحجم دليل الهاتف.

تنهدت وهي تحمل المجلدات الثقيلة وحقيبة اوراقها لتشق طريقها بين خطي السير إلى فندق سيرياس، ثم رأتها تلك السيارة الجاغوار والتي كانت متوقفة خارج المدخل الرئيسي حمراء متألقة، كانت هذه سيارة تيري، ولا بد ان القصة هي من الأهمية بحيث تجتذب اهتمام تيري الشخصي.

ترددت. أتريد حقاً ان تواجهه هنا، امام زملائهما؟ ذلك ان تيري يصبح احياناً في منتهى القذارة والحقد. فقد اخذ يتملص من الإجابة على مخابراتها الهاتفية منذ تم طلاقهما، مشدداً على ان كل ما تريد ان تقوله، عليها ان تقوم به من خلال محاميه، فهو إذن لن يرحب بوجودها هنا حتى ولو كان ذلك محض مصادفة، ولكن المفروض فيها ان تؤدي عملها هنا، أيضاً فإذا هي ابتعدت لتتجنب حقد تيري، وكانت القصة هامة، فقد يدمر هذا حظها في الترقية، وبالتالي استعادة جورجينا وبهذه المقارنة تضاءل شعورها بخطر المجازفة بمواجهة تيري.

ما ان اقتربت من الباب الدوار حتى سد عليها الطريق جسم ضخم: «هل اساعدك بحمل هذه الأشياء يا سيدتي؟»

كان الرجل الذي اعترض طريقها أشبه بحارس شخصي لملاكم، فقد بدا متين البنية، اطول قامة من تيري بقليل، وكان يبدو بالغ الهيبة بكتفيه العريضتين وبذلته الأنيقة.

رفعت عينيها لترى نفسها تحدق في عينين داكنتين، من العمق بحيث كان الأمر أشبه بالنظر في اعماق بحيرة تحت الأرض، وارتجفت بشكل لا إرادي، ثم قالت: «شكراً، يمكنني تدبير أمري.»

واذا بالدفاتر الضخمة تختار هذه اللحظة بالضبط لكي تبدأ بالإنزلاق من بين ذراعيها، واندفع الرجل الغريب نحوها حيث تناول منها ما تحمله وذلك بسهولة بالغة، وعيناه لا تبارحان وجهها وهو يقول: «اذا تركتك تجاهدين لحمل هذه الأشياء فمهنتي لا تستحق شيئاً...»

إذن فهو من العاملين في الفندق، وتملكها الارتياح وهي تسلمه بقية ما كانت تحمل وتسلم هو كل هذا دون جهد، ثم اشار اليها بأن تتقدمه إلى الباب.

وقفا داخل الباب الدوار وما زالت عيناه تشغلان منها البال، فهي لا تستطيع نسيانهما، كانا وكأنهما يحتويان في اعماقهما المظلمة، على أسرار العالم.

يا له من فكر جنوني، فهو ليس سوى حمال في فندق رغم كونه رجلاً غير عادي، ولكن سيرياس هو أيضاً فندق غير عادي، ما يجعله يستخدم اشخاصاً غير عاديين.

كانت الفوضى تسود صالة الانتظار في الفندق، وكان سقفها المقبب الشفاف يموج بخيالات الرجال ومعداتهم الالكترونية، والاسلاك تمتد كالأفاعي على الأرض الرخامية الكهرمانية اللون، وكان موظفو الفندق يحاولون وقد تملكتهم العجلة، إلقاء الأوامر هنا وهناك، ولكن دون نجاح يذكر.

وقفت عند احد المقاعد الجلدية ثم التفتت إلى الحمال. كان خلفها، قريباً جداً منها وقد أحنى رأسه، كان واضحاً انه رأى في ملف أوراق جيل التي كان يحملها، ما أثار اهتمامه.

سألته بشيء من التهكم: «انها مادة جذابة، أليس كذلك؟»

لم يظهر عليه ان لاحظ ذلك، بل أومأ دون ان يرفع عينيه عن الصفحة: «سبق وقرأت مقالات قليلة من هذا، وكانت دوماً تجتذبني.»

ما الذي يجعل حمالاً يهتم بتأثير البيئة؟ لقد كان تعليقها على ذلك ساخراً ولكنه يبدو حقاً وكأنه وجد الدفتر ذا أهمية، ربما كان هذا قسماً من تدريبه في المدرسة الفندقية.

«يمكنك ان تضع اشيائي هنا وشكراً لك.» وأشارت إلى الكرسي.

«بالتأكيد يا سيدتي.» ووضع الدفاتر ومعها حقيبة اوراقها ثم تراجع إلى الخلف.

«انتظر لحظة.» واخذت تبحث في حقيبة يدها وهي تتساءل كم ستهبه أجراً على عونه لها، وإذ قررت ان في دولارين ما يكفي، اخرجت المبلغ من الحقيبة ثم استدارت اليه، وإذا بالدهشة تتملكها، ذلك انها لم تر أثراً للرجل.

من الغريب انها شعرت بشيء من خيبة الأمل وكأن صديقاً قد رحل دون كلمة وداع، انها لم تعرف حتى اسمه، ربما الفندق لا يقبل ان يأخذ العمال إكرامية من الزبائن ففضل هذا الحمال ان يتوارى بدلاً من إحراجها، ولكن هذا لم يخفف من شعورها بالضيق وكأنها فقدت شيئاً هاماً.

وإذ اخذت تعنف نفسها لجعها من هذا الأمر التافه مصدر ضيق لها، اخذت تنظر حولها في انحاء الصالة، وخلال ثوان رأت محررة الأخبار في صحيفة صوت سيدني فأدركت لماذا لم يطلب منها رئيس التحرير تغطية هذا الريبورتاج، فقد اعطاه إلى محررة أهم منها، وإذ اطمأنت إلى سلامة أوراقها على الكرسي، حملت حقيبة أوراقها ثم تقدمت من

المحررة والتي كانت تتحدث إلى مصور فوتوغرافي يعمل هو أيضاً في الصحيفة التي تعمل فيها جيل.

وسألت المحررة: «ما الذي يحدث هنا، يا ليتيشيا؟»

فابتسمت ليتيشيا لها بأسى: «لا شيء حتى الآن، فأنا وجون كنا نأمل في لقاء ميداس تورن، المفروض فيه ان يكشف القناع عن تقدم اساسي في تقنية شيء ما، ولكن لا احد يعرف ما هو، وأين ومتى، قيل ان هذا سيحدث هنا، ولكن لا يبدو أثر لذلك.»

قطبت جيل حاجبيها: «ميداس ثورن؟» وما لبثت ان تذكرته، كان قمة في عالم الهندسة، قد نهض من نشأة متواضعة وإذا به يسيطر على امبراطورية اعمال واسعة.

ألقت نظرة في انحاء الصالة، متشوقة إلى ان ترى كيف يبدو مثل ذلك الرجل الكامل، ثم سألت: «هل هو يقيم هنا؟»

فألقت عليها ليتيشيا نظرة حافلة بالمعاناة، «يا فتاتي العزيزة، انه صاحب هذا المكان، وهو يحتفظ بطابقين بمثابة استراحة له.»

فقالت جيل: «ما اجمل هذا.» ولم تشأ ان تهتم بهذا كله، فقد جعلها تيري ضد الرجال الذين يبذرون الأموال، وعادت تقول: «اظنك مسيطرة على الوضع الآن.»

فقالت ليتيشيا تطمئنها: «لا حاجة بك للتسكع في المكان، إذا كان هذا ما يقلقك، بينما ننتظر نحن هنا، ربما يكون الرجل الكبير يذيع بيانه الآن من يخت في وسط المحيط الباسيفيكي أو ما أشبه.»

سألتها جيل، شاعرة بالفضول بالرغم منها: «إذا كان ذلك البيان للعموم، فلماذا كل هذا الذي تقومون به من عناء؟»

«اظن اننا نسعى إلى الحصول على الريبورتاج بوقت مبكر عما يريده السيد تورن، فهو يفضل أن يقرر بنفسه الوقت والمكان.»

فقالت جيل: «يبدو ان بإمكانه ذلك. الأفضل ان اعود إلى أوراقي.»

اعتذرت لزميلتها، ثم قامت بجولة في المكان. كانت النباتات تملأ الصالة، وحيث انها طالما تلهفت إلى مقابلة تيري، فقد أرادت ان تغتنم فرصة وجودهما الآن تحت سقف واحد، لكي تتحدث إليه، فقد كان دوماً يرفض ان يراها أو يتحدث إليها منذ المحاكمة، وها هي ذي الآن فرصتها الذهبية التي كانت بحاجة إليها لكي تلتمس رؤية جورجينا بشكل اكثر، وذلك لأجل الطفلة بقدر ما هو لأجلها.

ها هو ذا وإذ وقعت عيناها على زوجها السابق كادت شجاعتها ان تفارقها لولا ان اخذت تذكر نفسها بحاجتها الماسة للكلام معه، لقد مضى على لقائهما الأخير ثلاثة أشهر، ولكن منظر جسمه الرياضي وتكوين رأسه الجميل بشعره البني الجعد مازال يعبث في كيانها نوعاً من التوتر. لقد اعتادت هالة الرجولة التي تحيط به ان تهزها، ولكنها الآن تصيبها بالتقزز وهي تعلم أي طاغية يكمن وراء هذا.

شجعت نفسها على التقدم نحو الجماعة التي كانت تحيط به، وإذ رآها احد مساعديه، شق طريقه اليها خلال الزحام، كان تيري في هذه الاثناء يطلق تعليماته لسكرتيره، وكان الصباغ على وجهه، بادياً استعداداً للتصوير التلفزيوني، وعندما رأى جيل، عقد حاجبيه.

قالت له برقة: «مرحباً، يا تيري.»

فأجاب باقتضاب وهو يستدير مبتعداً: «فيما بعد.»

فقالت بنفس نبرته الحازمة: «بل الآن، انني بحاجة إلى الحديث اليك.»

«جيل، هذا ليس بالوقت المناسب، ان عليّ ان استعد للظهور هذه الليلة على شاشة التلفزيون.»

فأصرت تقول: «هناك ما يكفي من الوقت، فميداس ثورن لم يأت بعد.» وتذكرت ما كانت ليتيشيا قالته من أنه قد لا يأتي.

بدت الدهشة على وجه تيري: «هل هذا هو السبب في وجودك هنا؟ كنت اظن ليتيشيا هي التي تغطي هذا الموضوع لصحيفتك.»

«انها كذلك فعلاً، لكنني هنا لكي أراك.»

ونظرت حولها: «هل هنالك مكان يمكننا فيه الحديث على انفراد؟ لن آخذ من وقتك طويلاً.»

استطاعت ان تراه وهو يحاول التخلص منها دون إثارة مشكلة، ثم هز كتفيه وهو يخاطب مساعده قائلاً: «ظننت ان الطلاق يخلص الرجل من المرأة... ولكنهن لا يفتأن يحاولن ازعاجك إلى ان تخضع لهن.»

رأت مساعده يجفل، لقد نسي تيري ان موظفيه يحبونها، وقد ظهر ذلك حين غادروا دائرته، عندما ناداها سكرتيره قائلاً: «هاي، جيل، لقد تذكرت لتوي... عيد مولد سعيد.»

«شكراً لك.»

فرفع تيري حاجبه: «حقاً؟ لقد نسيت، هل جئت إلى هنا فقط لكي تذكريني به؟»

«كلا، وكما قلت لتوك، لا يحق لي ان اذكرك بعد الآن بأي شيء، انني أريد ان اتكلم اليك عن جورجينا.»

لأول مرة رأت اهتماماً صادقاً في عينيه: «هل حدث لها شيء؟ لقد كانت بخير حال عندما تركتها هذا الصباح مع كاي.»

«انها مازالت بخير حال، فقد اتصلت بها هاتفياً منذ فترة، انه انا من لديها المشكلة.» وجذبت نفساً عميقاً. «تيري لا استطيع ان اقبل ان اكون أماً فقط مرة كل أسبوعين.»

فعادت نظراته إلى الجمود وهو يقول: «كان عليك ان تفكري في ذلك قبل ان تهجرينا.»

فقالت بغضب: «انني لم اتركك، بل انت الذي حملتني على الرحيل.»

«النقطة هنا هو انك انت التي هجرت، وللمحكمة رأي سيء في المرأة التي تهجر أولادها.»

«يا لك من وغد.»

ما الذي جعلها تظن ان بإمكانها التفاهم معه منطقياً، وعادت تقول: «انها ابنتي، وانا احبها، اكثر من حياتي، ألا يعني هذا شيئاً لك؟»

«طبعاً يعني.» فتصاعد أملها جزءاً بسيطاً ولكنه مالبث ان تحطم مرة أخرى عندما تابع يقول: «يعني انك ستبقين حول عنقي إلى ان تكبر هي، ولشد ما أنا آسف لأنني لم استطع اقناع المحكمة بأن مجرد رؤيتها لك هو أمر سيء بالنسبة اليها، لو كان ذلك لتخلصنا منك إلى الأبد.»

كانت تعلم السبب الذي يجعله يفعل هذا بها، كان وجودها

يذكره بفشله كزوج، كان بإمكانه من قبل ان يترك فشله جانباً ويتابع بقية اعماله، وكان هذا هو السبب في انه لم ينسجم قط مع زملائه السابقين في جولات رياضة التنس، فقد كانوا يذكرونه بما سبق وخسره، ولكنها لن تسمح لنفسها بأن تكون منبوذة بهذه السهولة.

ولكن معرفتها بأن المشكلة كانت مشكلته هو لم يخفف من شعورها بجرح كرامتها، فانكمشت متراجعة إلى الخلف وهي ترتجف كلياً، ثم همست تقول: «ما الذي فعلته سوى اني حاولت ان احبك؟ كنت قتلتني لو انك تمكنت من هذا، أليس كذلك؟»

«ليس لدي وقت لهذا التمثيل المسرحي العاطفي من جانبك، ان لديّ عرضاً امام التلفزيون عليّ ان اقوم به.» واستدار على عقبيه عائداً إلى جماعته. وأحاطت به المجموعة وكأنهم يستبعدونها، بينما اغمضت هي عينيها إزاء ما اكتسح كيانها من ألم، لقد ادركت السبب الذي جعلها تحضر إلى هنا، فهو ليس بسبب الريبورتاج على الاطلاق، وإنما كان أملاً ضعيفاً في ان تتمكن من التفاهم مع تيري، محاولة ان تستثير عاطفته، ولكن الوقت قد حان لكي تواجه حقيقة أنه لا يملك أي عاطفة.

تعنيفه لها حطم آمالها وجعلتها قسوته تشعر بالضعف والعجز، وخنقتها الدموع، وجالت بنظراتها في الصالة المزدحمة، عليها ان تهرب من أعين زملائها المتطفلة قبل ان تنهار وتبدأ بالصراخ امامهم.

ولاحت لها الطريقة لذلك كحبل النجاة، ممثلة في لوحة كتب عليها (النجاة من الحريق ممنوع الدخول ما عدا في

حالة الطوارىء) حسناً، انها حالة طوارىء الآن، وأسرعت نحو المخرج هذا، مغالبة دموعها.

أول دفعة منها للباب الثقيل لم تؤثر عليه، فأخذت تدفعه بكتفها بعنف كحيوان جريح ولحسن حظها إنفتح الباب ودخلت منه وهي تتعثر في طريقها، بينما انصفق الباب خلفها بقوة ليحتويها سكون مريح.

كانت الأرض والجدران مصنوعة من الأسمنت المدهون باردة عند اللمس، وفي السقف كان هناك مصباح يلقي بضوء أبيض ساطع سالباً من بشرتها كل لون، ولكنها لم تلاحظ ذلك وهي تتهالك على درجة من سلم الحريق، دافنة وجهها بين يديها، كانت تعلم ان تيري يكرهها، ولكنها لم تكن تظن قط انها كان يريد ان يحذفها من حياة ابنتها إلى الأبد، لقد كان اتهامها له بأنه يتمنى موتها، مجرد اتهام، ولكنها تعلم الآن انه لو كان وجد طريقة آمنة للتخلص منها، فربما كان ساوره الإغراء للقيام بذلك، فقد كان سبق وقتلها في ذهنه، كم من الوقت سيمضي قبل ان يفسد مشاعر جورجينا ضدها، أيضاً؟

وفكرت بمرارة في ذكرى مولدها السعيد هذا، وسحقها الحزن والتعاسة، يا له من ذكرى مولد.. كانت هداياها فيه إبعادها عن ابنتها التي تحبها اكثر من الحياة نفسها، وافتراء من الرجل الذي سبب لها من الأذى اكثر مما سببته له بمراحل.

وصرخت باكية: «ماذا عليّ ان افعل؟»

وإذا بصوت رنان قريب منها يقول: «يمكنك البدء بإخباري عن أمرك.»

خفق قلبها خوفاً ورفعت رأسها بعنف لتجد نفسها تنظر في عينين زرقاوين متألقتين كالماس، وهمست بصوت متهدج من البكاء: «أنت؟»

فقال برصانة: «انك تجعلينني أبدو وكأنني آخر شخص تريدين رؤيته الآن.» ثم ابتسم، وكانت ابتسامته كبقعة ضوء في قعر السلم هذا، وشملها شعور دافىء، ووجدت نفسها تميل نحو مصدره بحركة آلية وهي تتمالك نفسها بجهد، ثم تقول: «انني اعلم انه ما كان لي ان اكون هنا، ولكنني كنت بحاجة إلى الانفراد بنفسي عدة دقائق.»

فأومأ متفهماً: «ما كنت لأطردك من هنا، إبقي قدر ما تشائين لكي تتمالكي نفسك.»

«شكراً لك.» ورفعت منديلها تمسح دموعها وهي ترغم نفسها على الابتسام، لقد خفف وجود هذا الرجل المليء بالحيوية، من رغبتها في البكاء، وتابعت تقول: «ان ما علموك إياه في مدرسة الفندقية، قد نجح. ان طريقتك في تدفئة المشاعر رائعة...»

سكتت وقد احمر وجهها لما قد تعنيه كلماتها هذه، ثم قالت بسرعة: «انني لا اعني...»

فضحك وقال برقة بالغة: «انني اعرف بالضبط ما تقصدين، واشكرك لهذا الإطراء، ولكنني ضللتك، فأنا لا أعمل هنا.»

«من أنت إذن؟»

«انني شخص لاجيء.» وتألقت عيناه فجأة بالمرح.

هبط عليها الفهم بسرعة: «شخص... آه، لا تخبرني بأنك ميداس ثورن.»

«حسناً جداً، لن اخبرك.»

«ولكنك هو أليس كذلك؟»

فمال برأسه جانباً: «انني مذنب، في الحقيقة، فقد تنكرت بصفة حمالك وذلك لكي اتجنب انتباه الحشد في الخارج إليّ.»

كان واضحاً انه لم يدرك انها إحدى افراد ذلك الحشد نفسه، فقالت: «هذه مهارة بالغة منك. فلا احد ينظر إلى حمال مرتين.»

«وكذلك انت لم تفعلي، أليس كذلك؟»

فلوت أسارير وجهها وهي تقول: «لقد شككت في الأمر، فمظهرك لا يوحي بأنك حمال، ان عينيك...» وسكتت، لم تكن تريده ان يعلم مبلغ تأثيره عليها، ثم انهت حديثها بلهجة عرجاء: «انك لا تبدو حمالاً.»

فقال وهو يتهالك بجانبها: «انني مسرور لسماع هذا، انك الآن تعرفين اسمي، فما هو اسمك انت؟ اما نوع عملك فقد سبق وعرفته.»

«اعرفته حقاً؟»

«انه في مجال بيان تأثير البيئة في المحيط، دعيني اتكهن، انك سكرتيرة لمهندس مختص بشؤون البيئة.» وعبس وهو يضرب جبهته براحته. «ما كان لي ان اقفز إلى النتائج، أليس كذلك؟ فقد تكونين انت نفسك مهندسة بيئية.»

«كلا، انا لست كذلك.» وسرت إذ استطاعت ان تكون صادقة معه ولو جزئياً على الأقل، فقد ساورها شعور بأنه لن يرحب بكونها تنتمي إلى تلك المجموعة التي كان يتجنبها، وقالت تقدم نفسها: «انني جيل كايسي.»

«جيل كايسي... لا بأس، فقد كان افتراضي خاطىء، يمكنك ان تسميني تيساً عنيداً، إذا شئت.»

فقالت ضاحكة: «لا اظن غلطتك تجعلك تستحق صفة كهذه.»

«انك متسامحة جداً، يا سيدتي، وكوني لاجئاً أتى بنتيجة افضل مما كنت أتوقع.»

تملكها من الفضول ما أنساها تعاستها كلياً، فقد انتقلت اليها من ميداس ثورن عدوى شخصيته الإيجابية، ربما بسبب حديثه عن نجاحه العملي، وقالت له ساخطة.

«ما كان لك ان تخرج من خلال هذا الباب، أليس هناك باب خلفي يمكنك استعماله؟»

فأجاب باسماً: «اتراك تعبت من صحبتي؟ ان اهتمامك بي هو شيء منعش، ولكن مصعدي الخاص قيد الاصلاح، وهذا هو الباب الخلفي، هنالك باب الخدم، ولكن اولئك الغوغاء يراقبونه هو أيضاً، وهكذا انا هنا حالياً.»

لفت ذراعيها حول ركبتيها وأراحت ذقنها عليهما ثم ضحكت برقة: «فهمت.»

فنظر اليها بفضول: «ما هو المضحك في ذلك؟»

«كنت افكر في كيف أنني أوشكت على منحك دولارين إكرامية.» ومالت برأسها إلى جانب، «هل اسمك حقاً هو ميداس؟»

«انه في الواقع ميكيل، ولكن ميداس هو لقب اطلق عليّ عندما ابتدأت اعمالي بالازدهار والآن لم يعد يذكر اسمي الحقيقي سوى أمي.»

لا بد ان ثمة دافعاً غير عادي هو الذي جعلها تلقي

عليه سؤالاً كهذا، فقالت تعتذر: «انا آسفة فهذا ليس من شأني.»

فقطب جبينه قائلاً: «لا تفسدي هذه البداية المبشرة بالخير، فأنا استمتع بمعاملتي كأي انسان عادي، أم ان مثل هذا الاهتمام تعاملين به كل شخص تتعرفين اليه؟»

تاهت نظراتها وهي تتذكر السبب الذي جعلها تلجأ إلى هذا المكان وأجابت: «احياناً اتمنى لو انني لا أهتم إلى هذا الحد.»

فقال وهو يشبك ذراعيه على صدره: «آه، تلك الدموع، اتريدين ان تتحدثي عنها؟»

من الغريب أنها كانت تريد ذلك فعلاً، قد يكون احد ملوك الصناعة، ولكنه كان أيضاً رقيقاً كثير المراعاة.

قالت له: «انها قصة طويلة.»

«اننا سنقضي هنا وقتاً كافياً.»

حدثته عن زواجها وكيف تحطم، محطماً معه قلبها عندما فاز زوجها السابق بالوصاية على ابنتهما جورجينا.

«لم اتمكن من منافسته، فهو بإمكانه ان يمنحها اكثر مما يمكنني انا بكثير، مربية دائمة، مدارس افضل، رحلات إلى خارج البلاد.»

فقاطعها: «ولكن ليس حب الأم.»

فقالت بمرارة: «حتى ولا حب الأب، انني واثقة من ان السبب الوحيد الذي جعل تيري يأخذ جورجينا هو ان يعاقبني لأنني تركته.»

«ألا يحب الأطفال؟»

«آه، انه يحبها على طريقته الخاصة، ولكن ماذا يحدث إذا كان عليه ان يختار بينها وبين سعادته؟»

«بالنسبة إلى نساء أخريات؟» وعندما أومأت عابسة، تابع يقول: «فهمت ولكن لا بد ان المحكمة قد وضعت هذا في حسبانها.»

فهزت رأسها مرة أخرى: «لم استطع ان اخبر المحكمة عن مدى ذلك، لقد تطلق والداي عندما كنت صغيرة فلم أنس قط كيف اخذا يتهمان ويحطمان بعضهما البعض، ولم اعلم قط أيها كانت الحقيقة، وأيهما كان المظلوم، ليس من العدل تمزيق ولاء الطفل كما فعل والداي، وانا لا استطيع ان افعل ذلك بجورجينا أبداً.»

«حتى ولا لتستعيدي ابنتك؟»

«حتى ولا لأجل هذا.»

فنظر في عينيها بإمعان: «كانت فكرتي عنك صائبة، فأنت تهتمين بالآخرين، ولكن عليك ان تهتمي بنفسك أيضاً، المفروض ان تحبي جيرانك كنفسك ولكن ليس اكثر منها أو بدلاً عنها.»

«سأحاول ان اتذكر هذا.»

في السقف فتح باب يطل على قمة سلم الطابق العلوي، فأجفلت جيل، ولكن ميداس قال لها مطمئناً: «لا بأس انه احد رجالي.» ووقف ثم اخذ ينفض الغبار عن بنطلونه وهو يخاطب الرجل قائلاً: «ما الخبر، يا تيد؟»

فمال الرجل فوق الدرابزين قائلاً: «لقد اصلحوا مصعدك الخاص، وهو بانتظارك في الطابق العلوي.»

فساعد جيل على الوقوف وهو يقول: «يبدو ان الحفلة قد انتهت.»

فابتسمت له بخجل: «ما كان أحسن تعارفنا، وداعاً، يا ميداس ثورن.»

فأمعن النظر في تقاسيم وجهها وكأنه ينقشه في ذاكرته، ثم قال: «ليس من الضروري ان يكون الوداع، لماذا لانتابع حديثنا هذا في جناحي الخاص؟»

الفصل الثاني

ماذا سيحدث لو انها قبلت دعوة ميداس ثورن لزيارته في جناحه الخاص؟

هذا السؤال شغل بال جيل وهي تحاول التركيز على كتابة مقالتها عن الطريق الجديد الذي يمر في كورنغي تشيز، ولكن منظر دفتر البيان الذي يتحدث عن تأثير البيئة، والموضوع على مكتبها، ذكرها باجتماعها بميداس ثورن.

لو كان علم بأنها صحافية، هل كان يتصرف نحوها بكل تلك الرقة والاحساس؟ لقد جعلها موقفه من زملائها المحتشدين في صالة الفندق، جعلها هذا تشك في الأمر، فوصفه لهم بالغوغائية يظهر انه لا يكن احتراماً للصحافة.

على كل حال، كانت دعوته تلك مغرية، ولديها شعور بأنه يعلم بأنها ستحضر، لقد أثار ميداس ثورن اهتمامها كما لم يفعل ذلك رجل آخر. ولكنه غني وذو نفوذ، ورجل كهذا يخيفها، فهذا تيري بثروته ونفوذه، وما فعله بها، فهل هي تريد ان تكرر مثل هذه المغامرة مع رجل مماثل؟

ولكنها ما لبثت ان حدثت نفسها بأنها تحلل الكثير خلال دعوة بسيطة، فقد يكون شعوره مجرد الأسف لأجلها، وهذا كل شيء؟

لقد ساعدها وضع هذا الأمر بأبعاده الصحيحة، وذلك إلى حد ما، فهو على الأقل ساعدها على انهاء مقالتها عن

ريبورتاج البيئة، وان يكن ذلك قبل الموعد النهائي لها بدقائق.

«هل يسرك ان يرتفع ضغطي؟»

سألها رئيس التحرير ذلك وهي تلقي بنسختها على مكتبه.

فنظرت إليه بحيرة: «ماذ تعني؟»

«اعني انك جعلتني اتساءل عما اذا كانت مقالتك ستصل في حينها، أم لعله نوع جديد من اختبار الضغط؟»

«هذا غريب جداً.» وشعرت بوخزة من الحذر، ذلك ان بيل اذا لم يكن مسروراً من إنجازها، فهل سيبقى على مساندتها للترقية آخر هذا الشهر عندما تذهب نائبة رئيس التحرير الحاضرة في إجازة ولادة؟

ولكنه أراح ذهنها بقوله: «لقد صفحت عنك ولكن فقط لأن مقالتك لا تحتاج إلى كثير من التصحيح، فلا لزوم لهذا المظهر المحطم الذي يبدو عليك، انك تجعلينني اشعر وكأنني غول.»

فارتفعت معنوياتها وردت عليه قائلة: «تحت مظهرك القاسي هذا...»

فقاطعها بقوله: «يمكنني ان اهزم اكثر القلوب شجاعة، والآن أخرجي من هنا، وخذي هذا معك، انه مهمتك الجديدة.»

فتناولت منه الملف الذي مد به يده اليها، وهي تسأله: «ما هو الريبورتاج؟»

«اظنك تخليت عن القراءة، أليس كذلك.»

منحته تحية ساخرة: «كلا، يا بيل، سأقرأ الملف.»

«انه ريبورتاج صعب، ولكن الناشر وضع قلبه فيه، فلا تخيبي أمله من فضلك.»

عاد اليها حسها بعدم الارتياح: «هل هنالك سبب يجعل هذا الموضوع مهماً بالنسبة إليه؟»

«انه ليس مهماً بالنسبة إليه، بل اليك انت، فهو سيقرر من ورائه من سيخلف هيلين.»

كان ما يعنيه رئيس التحرير واضحاً، فكيفية تأديتها لهذا الريبورتاج، ستقرر ما إذا كانت ستنال وظيفة نائبة رئيس التحرير، أم لا، احتضنت الملف وهي تقول: «سأقوم فيه بالأعاجيب.»

«يمكنك ان تحاولي، ولكن كما قلت للسيد سفاري هذا الصباح، انه يحلم بنيل القمر.»

وغوردون سفاري هو ناشر صحيفة صوت سيدني، ولا بد ان الريبورتاج صعب جداً ما دام بيل يشك في قدرتها على إنجازه، وكان هذا سبباً آخر يجعلها تبرهن له على أنه مخطىء.

بعد خروجها من المكتب بلحظات، ابتدأت تدرك ان بيل كان على حق، ذلك انها لم تستطع ان تبرز صورة جانبية للرجل الشهير الذي أراده السيد سفاري خصوصاً بعد أن قرأت المادة الخلفية في الملف. اما الشخص الذي كان مطلوباً منها ان تقابله فهو من بين كل الناس، ميكيل ميداس ثورن، وقد أوضح الملف السبب الذي يجعله يرفض ذلك بتاتاً، والسبب الذي جعله يكره الصحفيين بمثل هذا العنف، فهو يلومهم جميعاً لمقتل زوجته وطفله.

كان عداؤه للصحافة مفهوماً، فمنذ ست سنوات كان

ميداس وزوجته يولاند وطفلهما ميكيل الصغير، كانوا يمضون عطلة في خليج بايرون على الساحل الشمالي في جنوب ويلز، وكانت يولاند تعاني من نوبات اكتئاب عنيفة، حسب ما يقرره ملف جيل، واكتشفت الصحافة بشكل ما مخبأهما، ومع ان ميداس توسل اليهم ان يدعوا زوجته بسلام، إلا ان الصحافيين استمروا في تسجيل كل حركة لها، والتقاط صور غير جميلة لها على الشاطىء، وفي المنزل حتى وهي تحمل طفلها، وإذ تملكها اليأس من الهرب، من هذا التطفل، صعدت إلى سيارتها، وربطت طفلها على المقعد بجانبها ثم انطلقت بها.

كان هناك عدة اماكن يصل اليها الطريق حتى الحافة الصخرية وفي احد تلك الأماكن فقدت يولاند سيطرتها على القيادة، فاندفعت بها إلى البحر، اعتبر الحادث قضاء وقدراً، ولكن ميداس أعتبر الصحافة مسؤولة عن ذلك، فلو لم يلاحقوا زوجته بهذا الشكل، لما شعرت بالحاجة إلى الهرب، وبقيت أسرته على قيد الحياة.

وعندما أقفلت جيل الملف، كانت عيناها دامعتين، يا للرجل المسكين! لقد اخذ يعزيها بخسارتها لطفلتها، ولكنها مازالت تأمل في عودة ابنتها اليها، بينما ليس لدى ميداس مثل هذا الأمل.

كان كتفاها ينوءان بالحزن وهي تعود إلى مكتب بيل ثم تضع الملف على المكتب بحرص بالغ وكأنه مصنوع من الخزف الصيني الهش، ثم قالت: «الحق معك، فأنا لا استطيع إنجازه، فالرجل المسكين يستحق أن يبقى منفرداً بنفسه بعد كل ما سببناه له.»

رفع بيل حاجبيه وقال: «لم تكن صحيفة صوت سدني هي التي تسببت بمقتل زوجته.»

«ليس ثمة فرق، فهو لن يقبل التعاون مع الصحافة، ولا يمكنني لومه.»

فبدا الغضب على بيل: «انتظري لحظة، في أي جانب أنت؟»

«العدالة، كما أرجو. لماذا نحن بحاجة إلى قصته هذه، على كل حال؟»

«لنفس السبب الذي يجعلك ترفضين قبولها، لم يستطع أي كاتب ان يقترب من ميداس ثورن، انه على وشك اعلان بيان في منتهى الأهمية عن الاعمال فالصورة الجانبية له، ستنشر في نفس الوقت مع اعلان بيانه ذاك، ما يجعل توزيع صحيفتنا يصل إلى القمة.»

قالت وقد ضاقت عيناها: «لقد قلت بنفسك ان هذا الأمر أشبه بتمني الحصول على القمر؟»

فهز رئيس التحرير كتفيه: «هنالك مثل آخر، وهو: فكّر، تجد.»

«وماذا لو انني لم اجد؟»

«سيخبرني السيد سافاري بأن اعطي الريبورتاج إلى جيف بولن.»

شعرت جيل بثقل في صدرها: «هل جيف هو المرشح الآخر للترقية؟»

«نعم، في الواقع.»

«ولكن جيف هو...» ولم تكن بحاجة إلى ان تنهي كلامها، فقد كان الاثنان يعلمان ان جيف بولن هو شخص دون

مبادىء، فهو يستعمل كل الوسائل ومهما كان نوعها لكي يحصل على قصصه، بما في ذلك البحث في صفائح قمامة الناس لكي يكشف أسرارهم، وبينما لم يكن احد يحب وسائله هذه، إلا انه كان له قراء كثيرون، ولم تستطع جيل ان تتصور ان جيف سيتعقب ميداس ثورن، وإذا كان ميداس قد ظن انه قابل حثالة الصحافيين الآن، فلينتظر إلى ان يسقط ضحية لأمثال جيف.

قالت لبيل: «لا يمكن ان تكلفه بإنجاز الريبورتاج.»

«انجزيه انت إذن.»

«سأحاول.»

حتى ولو لم تحصل على المقابلة، فان بإمكانها ان تحذر ميداس من ذلك الصحافي البديل. هذا إذا وافق على التحدث إليها.

وغاص قلبها، كانت واثقة تماماً من ان وظيفة نائب رئيس التحرير هي في قبضتها، والتي كانت الأمل الوحيد لها في مساعدتها على الكفاح لاستعادة جورجينا، ولكن هذين الهدفين الآن قد اصبحا، كما يبدو بعيدي التحقيق. وعادت تتناول الملف وقد تملكتها الكآبة، وقالت تسأله: «كم لدي من الوقت؟»

«قدر ما يستغرقه ذلك، وحيث ان للسيد سافاري اهتماماً شخصياً بهذه القصة فأنا اعفيك الآن من كل مهماتك الأخرى، وانا لا اريدك ان تعودي إلى هذا المكتب قبل ان تتمي إنجاز هذا.»

لو ان الظروف غير هذه لكانت هذه المهمة بمثابة حلم لها، اخذت تفكر في ذلك وهي تخلي مكتبها، ذلك ان مزاياها

حسنة للغاية، إذ لا وقت محدد لها وليس ثمة ريبورتاجات منافسة لها، كما ان الناشر ينتظر النتائج بنفسه، ولكن رغم ان قلبها مع هذه القصة، إلا ان عطفها كان على ميداس فهو يستحق شيئاً من الوحدة والسكينة النفسية.

ما ان وصلت إلى شقتها في بالمين حتى كانت قد قررت ما عليها ان تفعل، فهي ستتصل بميداس وتعترف له بأنها صحافية، ثم تشرح له مأزقها، فقد كان أمس بالغ التفهم بالنسبة إلى جورجينا، ولهذا قد يقبل بتزويدها بنوع من الحديث عن نفسه، وذلك لكي يخلص من ازعاج الصحيفة هذه، له فيما بعد.

ولكن عندما استطاعت ان تقنع نفسها بأن إجراء هذه المقابلة سهلة، قرع جرس الباب وعندما فتحته وجدت موظفاً في ملابس رسمية لمحل زهور معروف، وكانت ذراعاه مليئتين بالأزهار. أترى هناك من فكر في ذكرى مولدها؟

قالت ذاهلة: «لا بد انها ثلاثة دزينات، عل الأقل من الورود.»

فقال الموظف: «إنها ست.»

وعندما سلمها لها وذهب، وقفت تحدّق في الورود ذاهلة، كانت الورود ذات الوان غاية في الروعة، ومتألقة كشمس الصباح، بأصابع مرتجفة، مدت يدها إلى البطاقة الموجودة بين الأزهار الفواحة، وكان مكتوباً عليها: «إلى جيل كايسي).

وكان التوقيع ميداس ثورن.

أدركت انه ما كان ليعلم ان اليوم يصادف ذكرى مولدها،

فالأزهار إذن هي لبعث السرور في نفسها، كيف علم بعنوانها؟ ولكنها نبذت هذا السؤال حالاً، فرجل مثله لديه مصادر يستقي منها المعلومات اكثر من غيره بكثير، وربما لديه فرقة من المساعدين يهتمون لأجله بمثل هذه التفاصيل، المهم ان هذه اللفتة منه جعلتها تشعر بأنها موضع اهتمام وإعزاز.

وعندما عبق شذا الورود في جو شقتها الصغيرة، سبحت حواسها في عالم من الأحلام.

ام هي البطاقة المكتوبة بخط اليد التي قربت ميداس ثورن من نفسها؟ كان الخط قوياً، ولا بد انه خطه بالذات، وانتبهت إلى نفسها وهي تضم البطاقة إلى صدرها، وتخيلت امامها صورته، طويلاً فياضاً بالحيوية يملأ المكان الذي كانا يجلسان فيه عند سلم الحريق. ووهنت عزائمها وهي تتذكر إشراقة ابتسامته. وجعلتها رقته وحساسيته توشك على البكاء، فدفنت وجهها بين الأزهار تشتم عبيرها تملأ به رئتيها وكأنه نسمات الحياة.

لقد مضى وقت طويل منذ رأت اهتماماً بها من أي انسان حتى انها اخطأت فهم مبادرته هذه بتأويل شخصي، فقد جعلها تميل إلى الاعتقاد بأنه ارسل هذه الورود لأنه شعر نحوها بمثل ما شعرت هي به نحوه.

وهزتها قشعريرة وهي تشعر بالحنين ينبثق من اعماقها، وإذ رفعت رأسها وقعت عيناها على صورتها في المرآة المعلقة على الجدار، كان الذعر مرتسماً على ملامحها، حقاً ان مخيلتها جعلت منها كاتبة، إلا انه ما كان لها ان تدع الخيال يستولي عليها.

عليها ان تواجه الواقع، فالزهور أرسلها احد السكرتيرين، ودون شك تبعاً لأوامر ميداس، ولكن الخط هو الذي حرك عواطفها بمثل تلك الحماقة ربما كان خط صاحب متجر الزهور أو أحد موظفي ميداس.

كانت هناك طريقة واحدة لاثبات ذلك لنفسها وهي ان تتصل به، فإذا اخبروها، كما كانت تتوقع، بأنه غير موجود، تكون عند ذاك قد علمت موضعها.

ومع ذلك لم تستطع تمالك شجاعتها للاتصال به الا عند الصباح، وذلك بعد ان عرفت رقم شركته من الدليل، حدثت نفسها بأنها كانت مساء أمس بحاجة إلى دراسة الملف الذي كانت احضرته معها إلى بيتها.

أعذار... أعذار... حدثت نفسها بذلك وهي تدوّن رقم هاتف مكتبه، كانت الحقيقة هي انها كانت تؤجل ذلك قدر إمكانها، مهما كان توقعها لرفضه مكالمتها.

اخبرها موظف الاستعلامات بأنه سيصلها بسكرتيرة السيد ثورن الخاصة.

وإذا بصوت أنثوي يرد عليها: «مكتب السيد ثورن، سارا برينت تتكلم.»

حتى عندما كانت تذكر اسمها للسكرتيرة لكي تتحدث إلى ميداس ثورن، كانت تتساءل عن السبب الذي منعها من ان تذكر انها صحافية في صوت سيدني، هل ذلك لأنها كانت تعلم انه لن يرد عليها لو عرف هذا؟ بينما هي تريد ان تتحدث اليه بالرغم من هذا الجدل بينها وبين نفسها؟

وقالت السكرتيرة: «انني آسفة لجعلك تنتظرين، ولكن السيد ثورن يحضر اجتماعاً.»

فهبطت معنوياتها رغم انها كانت تتوقع هذا. «انني متفهمة، هل لك ان تخبريه بأن جيل كايسي قد اتصلت لكي تشكره على...»

«لحظة واحدة، يا آنسة كايسي. لقد دخل المكتب لتوه.»

إذن، فهو لم يكن يتجنبها، وقاومت السرور الذي سرى في كيانها وهي تفكر في ذلك، وزاد سرورها وهي تسمع صوته يقول: «حسناً، صباح الخير، يا جيل كايسي، هل تشعرين بتحسن الآن؟»

«جداً، واشكرك لهديتك المفاجئة فالورود الصفراء هي ما احب.» والآن، لماذا تخبره بذلك؟ إلا اذا كانت تريد ان تخفف من الصدمة التي ستسببها له بما ستقوله له إثر ذلك؟

فقال ضاحكاً: «ان بائع الزهور هو الذي على دراية بعلم النفس وليس انا، فعندما وصفتك له، أصر على ان الورود الصفراء هي التي تناسبك.»

إذن فهو قد اختار الورود بنفسه، وشعرت بالدوار دهشة وتساؤلاً، وأدركت فجأة ان ليس بامكانها ان تخبره عن طبيعة عملها فتفسد هذه اللحظة السارة، والأفضل ان تنهي المكالمة بسرعة. فقالت: «لا بأس، فأنا اريد ان اشكرك، وآسفة اذا كنت قطعت عليك الاجتماع.»

فأحس بأنها على وشك انهاء الحديث، فقال: «ان الاجتماع قد انتهى على كل حال، ألا تريدين ان تعلمي كيف اقتفيت أثرك؟»

«اعترف بأنني شعرت بالفضول لمعرفة ذلك.»

«لقد تذكرت البطاقة الملصقة على حقيبة اوراقك عندما حملتها لأجلك في الفندق.» قال ذلك وفي صوته نبرة

انتصار، وبدا واضحاً انه فخور بذاكرته. وبشكل ما، جعله هذا الزهو البسيط يبدو على شيء من الضعف.

فقالت ضاحكة: «هذا رائع، لقد كنت ظننت ذلك مهارة من مواظفيك.»

سكت لحظة قال بعدها: «انتظر منك ان تقدمي إليّ ترضية لعدم اعترافك بمواهبي.»

فتملكها شعور سار هو مزيج من الخوف والأمل، وقالت: «ما الذي في ذهنك؟»

«نتناول الغداء معاً هذا النهار، ان لديّ اجتماعاً آخر بعد دقائق، ولكنه سينتهي عند الظهر، سأرسل اليك سيارة لتحضرك إلى مكتبي.»

ادركت انه يعتبر قبولها أمراً مسلماً به، لقد حان الوقت إذن لكي تخبره عن نفسها حيث انه مازال بإمكانه ان يغير رأيه في رؤيتها مرة أخرى، تنفست بعمق ثم قالت: «هنالك شيء يجب ان تعرفه أولاً.»

فقال: «اخبريني به أثناء الغداء، فقد حان وقت الاجتماع، وها هي ذي سارا ستتحدث معك عن تفاصيل موعد الغداء.»

ثم ذهب بينما اخذت سكرتيرته تحدثها عن ترتيبات قدومها إلى مكتب ميداس، وعندما وضعت سماعة الهاتف من يدها، بقيت جيل تحدق فيها بحيرة. انها لم تخبره بعد بأنها صحافية وها هي ذي الآن ستراه بشكل اجتماعي، وان تخبره بذلك على مائدة الغداء هو شيء اكثر صعوبة بكثير.

تملكها السرور وهي تتصور نفسها جالسة معه بمفردهما، واعترفت بأن هذه هي رغبتها، في الحقيقة، ولكنه سيتساءل عن السبب الذي جعلها تخفي عنه حقيقة

عملها في البداية وقبل قبولها دعوته. والأسوأ من ذلك انها جعلته يعتقد بان لها صفة مغايرة، أو انها على الأقل لم تصحح ظنه بأنها سكرتيرة في ما يختص بالبيئة، وفكرت في ان تعود فتتصل به، وكانت يدها على السماعة عندما تذكرت انه في غرفة الاجتماعات الآن، ولم تشأ ان تضع له خبراً فيعرفه من غيرها، والأفضل ان تخبره بنفسها حالما تصل إلى هناك، وقد يطردها عند ذاك ولكن الذنب في ذلك ذنبها، فما كان لها ان تطيل أمد عدم التفاهم هذا.

حيث ان نيتها كانت فقط ما ستخبره به عن عملها، لم تهتم كثيراً بما ستلبسه، ولكنها ما لبثت ان وجدت نفسها تبذل عناية فائقة بملابسها وزينتها، كان الطقم مزخرفاً بالألوان الكاكي والكحلي والأبيض، وكان البنطلون كحلي اللون، كانت ملابسها ملائمة تماماً لوقت الغداء، وان تكن غير منافية لوقت العشاء إذا ما دعاها ميداس إلى ذلك، هذا اذا دعاها بعد ان يعرف حقيقتها.

سرحت شعرها بشكل بدا معه كهالة لامعة حول وجهها، ثم ثبتته من الجانبين بمشطين بشكل صدفة السلحفاة. وعندما اخذت تضع المساحيق على وجهها، تمنت لو انها تبدو اكثر حنكة، ولكن ربما يرغب الرجال في نساء يبدين بمثل فتوتها.

لم يتملكها الغرور لاهتمام رجل مثل ميداس ثورن بها، فقد اثار هذا الرجل فضولها، فهو عصامي، وقد سيطر بنفوذه على دنيا الأعمال، كان في الملف الذي احضرته معها إلى البيت كل ما هو مشهور عنه من عدالة، من جهة وقسوة من جهة أخرى، باعتبار شركائه، ولكن الملف لا

يتحدث عنه، بصفته الشخصية، إلا قليلاً، من هو ميداس ثورن؟ لقد كان بيل داوين على صواب. فهذا الريبورتاج سيكون مثيراً للغاية.

لم تستطع في الواقع ان تبرّر اهتمامها هذا بكونها صحافية، فقد كانت الحقيقة هي انها كانت تريد ان تعرف المزيد عنه إرضاء لفضولها الشخصي، الذي كان في ازدياد منذ لقائها به عند سلم الحريق.

كان وصولها هذه المرة إلى فندق سيرياس اكثر فعالية، لقد احضرتها سيارة مرسيدس ليموزين من شقتها إلى الفندق، ثم رافقها خادم خاص إلى مصعد ميداس الخاص الذي صعد بها إلى أعلى طابق في المبنى والذي كان مقر شركة ميداس، اما منزله الخاص فكان الروف في أعلى الفندق.

في الوقت الذي وصلت فيه إلى الجناح الذي يضم مكاتبه، كانت الرهبة البالغة لما رأت، قد تملكتها، لقد كانت حياة زوجها السابق تيري مترفة للغاية، ولكنها بهتت بجانب حياة ميداس ثورن، فقد كان واضحاً جده في العمل كما ان انجازاته الخارقة كانت اكثر تأثيراً في نفس من يعلم انه ابتدأ من لا شيء، ولكن طريقة حياته هذه كانت فوق تصورات جيل، وتساءلت عما عسى ان يكون منظر منزله الروف من الداخل، إذا كانت مكاتبه بمثل هذا الترف.

قالت سكرتيرة ميداس وهي ترى ما بدا على وجه جيل من انبهار عندما دخلت إلى مكتب ميداس، قالت لها: «ان منظره رائع أليس كذلك؟»

خلف المكتب الضخم المصنوع من معدن الكروم والجلد

الأسود، كانت سيدني بأجمعها تظهر بوضوح من خلال جدار من الزجاج الملون. لا بد ان هذا هو شعور النسر وهو يحوم فوق عالم البشر.

نظرت حولها ثم سألت: «أين السيد ثورن؟»

«لقد أرسل معتذراً، فالاجتماع لن يطول كثيراً، كما ان الطائرة المروحية في الانتظار.»

فازداد ذهنها تشوشاً: «طائرة مروحية؟»

«نعم، لكي تأخذك إلى جزيرة فينسيرو، هل احضر لك شيئاً اثناء انتظارك؟»

فهزت جيل رأسها ببلادة، فقد كانت بحاجة إلى بعض الوقت لاستيعاب كلام السكرتيرة، وتملكها الارتياح عندما عادت سارا برينت إلى مكتبها، لقد كانت فينسيرو جزيرة ميداس الخاصة في نهر هاوكسبيرو شمال سيدني، وعندما دعاها إلى الغداء لم تحلم بأن ذلك سيكون في استراحته المنعزلة تلك، وتذكرت فقرة في ملفه تقول: «بالنسبة إلى ميداس ثورن جزيرة فينسيرو هي أرض خاصة، لم يضع صحافي قدمه عليها قط، كما ان صاحبها كان اعلن بكل وضوح انهم غير مرغوب فيهم.»

اما رغبة ميداس في اخذها إلى هناك فهي تعني اكثر من مجرد عابر بها، والآن ليس بامكانها ان تخيب امله فيها، ومنذ البداية ما كان لها ان تأتي.

بعد ان قررت الاتصال به فيما بعد، وقفت وتناولت حقيبتها اليدوية، متمنية لو كانت طيراً فتهرب دون جهد، وشعرت بنفسها مخادعة، وتملكها الفزع من ميداس حين يعلم الحقيقة.

«مرحباً يا جيل، انني واثق من رعايتهم لك.» ومن أول نظرة اليه اخذ عزمها يتراجع، وشعرت بالضعف إزاء جاذبيته، أخذت تنظر إليه بإعجاب وهو يضع بعض الأوراق على مكتبه.

كان طويلاً قوي العضل، وكانت ملامح وجهه القوية يخفف منها فم كبير باسم، واخذت عيناه المدمرتان تمعنان النظر في وجهها.

لم تستطع التنفس لما تملكها من توتر، وتمنت لو انها كانت فعلاً السكرتيرة التي ظنها، اذن لكان كل شيء سهلاً، وشعرت لسرها هذا بمثل الغصة في صدرها، فضغطت عليه بقبضتها. ان كشفها لذلك السر هو وحده الذي يريحها.

قالت له، وقد عقدت عزمها على الانتهاء من كل هذا: «لن اتمكن من تلبية دعوتك للغداء فهناك شيء عني لا تعرفه.»

«هل مازلت متزوجة؟»

«كلا، بل انا مطلقة كما سبق واخبرتك.»

«ماذا إذن؟»

تنفست بعمق وهي تبحث عن الكلمات المناسبة، وقبل ان تجدها، جاء صوت السكرتيرة سارا برينت عبر الهاتف الداخلي، ففتحه ميداس وقد قطب جبينه غيظاً: «نعم، يا سارا، ماذا هناك؟»

اخذت السكرتيرة تحدثه عن ان بعض التعقدات قد نشأت عن ذلك الاجتماع، واستمع ميداس اليها عدة دقائق، ثم اقفل الهاتف وهو يقول: «عليّ ان اذهب لكي اعالج هذا الأمر قبل ذهابنا، هل لديك مانع في الانتظار بعض الوقت؟»

«عليّ ان لا أبقى ابداً، فأنت مشغول و...»

أظلمت عيناه: «لا بد ان هناك اعترافاً بذنب ما، مادمت تزمعين الهرب، وهذا ما لا اقبله.» وعاد إلى الهاتف الداخلي يفتحه: «سارا اخبري دانييل ان يأخذ ضيفتي إلى فينسيرو ويعتني بها إلى ان اذهب إلى هناك.»

كان يعني ان يرسلها إلى جزيرته الخاصة دون ان يمنحها فرصة تشرح له فيها السبب في انه لن يقبل بها هناك على الاطلاق، وتملكتها ومضة من السرور في داخلها، عليها ان تصر على إخباره ولكن، اذا كان لا يريد ان يسمع، فهي غير مسؤولة إذن، ربما عندما يصبحان في بيته، سيستقبل اعترافها بتفهم عادل، فمأساته لم تكن ذنبها، ولومها لذلك أشبه بجعل جميع الأطباء مسؤولين عن فقد مريض.

انتظر إلى ان أومأت بالقبول، ثم حمل بعض الملفات وخرج.

بعد ذلك بلحظات، دخل رجل آخر بهدوء إلى حد وقف معه بجانبها قبل ان تدرك ان شخصاً قد دخل، وأخذت تحدق في هذا الرجل الغريب، وإذا بابتسامة ترتسم على وجهه وهو يقول: «أنا دانييل براساد، طيار السيد ثورن الخاص. هل أنت جاهزة للرحيل؟»

نهضت واقفة وهي تتمالك اعصابها: «اظن ذلك.»

«سأريك إذن الطريق إلى مكان المروحة.»

تمتمت شاكرة وهي تتبعه إلى مصعد آخر مخصص لمكاتب الشركة، واثناء انتظارهما للمصعد، اخذت تتأمل الطيار، كان لونه الشبيه بالقهوة مع الحليب يدل على دم هندي، رغم انه لم تكن تتخلل لغته سوى لكنة بسيطة، وكان

شعره وعيناه فاحمي السواد، بينما بذلته الأنيقة كانت تنم عن جسم قوي متين.

سألته لكي تقطع هذا الصمت: «هل انت تعمل مع السيد ثورن منذ وقت طويل؟»

«منذ سنة، يا سيدتي، منذ جئت من فيجي إلى اوسترالیا.»

كان هو أيضاً يتأملها خلسة، كما لاحظت، كان ذهنها يضج بالاسئلة، هل اعتاد ميداس دعوة كثيرات من النساء إلى الغداء، ام هي حادثة نادرة؟ وعندما اخذت تعتقد بأن الجواب هو الأخير، تمنت ان يكون الأول، وإذا كانت مستثناة، حسب اقتراح ميداس، فليس لديها الحق في ان تلغي اعترافها، كان بامكانها ان تعترف بالحقيقة وهذا لا يستغرق سوى ثانية واحدة، عند ذلك يمكنها ان تعود وما كان ليوقفها، ولكن السبب الحقيقي لصمتها هو انها لم تكن تريد حقاً ان تذهب.

توقفت الطائرة وكأنها طائر عملاق، مخططة باللون الأحمر ومرقمة باللون الأزرق، وشهقت جيل إعجاباً: «ما اجملها.»

فأخذ دانييل براساد يربت على المروحة وكأنها حصان اصيل وهو يقول: «انها ماركة (اوغستا ١٠٩) وهي تطير فتظنين نفسك في حلم.»

وفعلاً كان الركوب فيها حلماً، هذا ما رأته وهو يفتح لها الباب ويساعدها على الصعود. كانت مقاعدها صفين متواجهين، حمراء اللون، شدت الحزام حول نفسها وقلبها يخفق، بينما قفز دانييل إلى مقعد القيادة وبدأ الرحلة.

سرعان ما اخذت الطوافة تهدر عندما أخذ المحرك يدور، وفجأة، اذا بالباب بجانبها يفتح: «لقد انتهيت من الأمر، ويمكنني الآن ان اشاركك أول انطباعاتك عن بيتي.»

تهالك ميداس على المقعد بجانبها، ثم اخذ يشد نفسه بالحزام، وانغلق الباب بجانبه بينما استأنف دانييل القيادة.

ثم حلقوا في الجو، ومع انها كانت أولى اسفارها بالطوافة، ما اثار لديها احاسيس لا تحصى، فانها لم تغفل عن الشعور بقرب ميداس منها، ليس لديها الحق في ان تكون هنا، ولكنها لم تستطع ان تتخلص من قناعة سخيفة وهي انها كانت متوجهة إلى بيتها هي.

الفصل الثالث

كانت جزيرة فينسيرو قريبة من كانغارو بوينت المشرفة على مياه بروكلين ونهر هاوكسبيرو شمال سيدني، وسرعان ما اخذت الشواطىء الشمالية تتباعد من تحتهم.

سألت: «هل فينسيرو قريبة من الطريق البري؟»

فهز ميداس رأسه نفياً: «لقد منعت اقامة جسر يصلها بالبر، وللمرء الخيار بين الوصول اليها بواسطة زورق بخاري أو الطائرة هذه.»

وأشار إلى ما حوله، فتألقت عيناها بما تشعر به من بهجة وإثارة، فالوصول بواسطة زورق لا يمكن ان يقاس برحلة جوية بطائرة رائعة ذات محركين كهذه.

فجأة قال ميداس مشيراً بيده: «تلك هي فينسيرو.»

كانوا يقتربون من جزيرة لوزية الشكل قد كست جوانبها الخضرة، وكانوا قد اصبحوا فوقها تقريباً عندما لمحت جبل المنزل، كان فخماً مهيباً على الطراز الجورجي ويقوم على مرتفع مشرف على ما حوله، ولا بد ان المنظر كان رائعاً من هناك، وبرشاقة وتألق حطت الطائرة على أرض معشوشبة قريبة من الشاطىء، كانت المروج تمتد في كل اتجاه من المنزل إلى الرصيف تحتهم، وكان ثمة طريق مرصوف بالحصى يقود إلى المنزل.

«ما أروعه من مكان.»

www.elromancia.com

«أهو كذلك إذن؟ مرحباً بك في فينسيترو.»

نظرت حولها، كل ما في الجزيرة كان فيه نوع من الجمال المنعش للنفس، من التلال المكسوة بالغابات إلى النهر الذي يحيط بالجزيرة وكأنه عقد ماسي، وأمام المنزل كانت هناك بحيرة قد انشئت بين الصخور، شلال يتدفق فيها في ناحية منها، وفي الناحية الأخرى كان الشاطىء المبلط بالحصى يمنح البحيرة مظهرها الطبيعي، وكان حول المنزل عدة مبان، أتراها كانت بيوتاً لنزول الضيوف أم هي مكاتب؟

وقالت: «شد ما احب جولة حول المكان.»

فبدا من ضحكه انه قد استحسن حماستها هذه، وهو يقول: «سيكون هذا من دواعي سروري، وذلك بعد ان نتناول بعض المرطبات.»

وفي شرفة امام المنزل كانت مائدة جاهزة بكافة انواع المرطبات والمثلجات، لا بد ان الطيار قد طلب ذلك لاسلكياً من الجو، طالباً من الخدم اعداد كل شيء قبل ان يضعوا اقدماً على أرض الجزيرة.

سكب لها ميداس شيئاً من العصير في كوب ولنفسه مثله، ثم رفع كوبه قائلاً: «نخب الجمال.» هذا بينما عيناه عليها تؤكدان المعنى.

سرت في كيانها مشاعر البهجة بمديحه هذا، لقد مضى وقت طويل على ما اعتادت سماعه مما يشعرها بأنها مرغوبة، وها ان ميداس يقوم بذلك دون أي جهد وبمجرد كلمة أو إيماءة، ماذا سيكون عليه شعورها وهي تدرك انها موضع رغبة منه؟

وقبل ان تبدأ بارتشاف كوبها، تملكها التردد، ليس لديها الحق في التفكير في مثل هذه الأشياء، بينما هي تعلم بأنها هنا بشخصية مزعومة، فعادت تضع كوبها على المائدة.

رفع حاجبيه متسائلاً: «ألا تشربين؟»

فقالت: «هنالك شيء يجب عليك ان تعرفه قبل ان تمتد بنا العلاقة، وقد كنت اجلت اخبارك به وقتاً طويلاً.»

«هاتي ما عندك، إذن.»

فقالت: «أنا... أنا لست كما تظنني، انني لست سكرتيرة في مجال البيئة، أو أي نوع آخر من السكرتيرات.»

فبدا الجد على ملامحه: «ماذا إذن؟»

كان الأمر اكثر صعوبة مما كانت تتصور، وأخيراً استطاعت ان تقول: «انني... انني اكتب لصحيفة.»

كان الاشمئزاز الذي شوه فمه الرصين اكثر مما تستطيع احتماله، وهو يقول: «هل انت صحافية؟»

كان عليها ان تقوم بشيء ما... أي شيء، وذلك لكي تجعله يتوقف عن النظر اليها وكأنها حشرة قد خرجت لتوها من تحت صخرة، فقالت: «لقد حاولت ان اخبرك قبل الآن، ولكنك لم تدعني افعل ذلك.»

«وماذا عن تلك البيانات المتعلقة بالبيئة؟»

«كانت تلك خلفية احد الريبورتاجات، آه، ارجوك يا ميداس، لا تنظر إليّ بهذا الشكل، فالذنب لم يكن ذنبي حين قفزت انت إلى النتائج.»

كانت عيناه بحيرتين ملتهبتين غضباً: «انك لم تحاولي بشدة ان تصححي من افتراضاتي.»

«السبب في ذلك هو انني كنت اخاف من ردة فعلك هذه التي أراها الآن.»

كان وجهه شاحباً وهو يقول: «مادمت تعرفين ذلك، فلا بد انك تعرفين السبب كذلك.»

كان الوقت قد فات للتظاهر بالجهل، فقالت: «لقد قرأت القصة في ملفات الصحيفة.»

«أنت هنا إذن، لإداء عمل محدد؟»

«ليس تماماً، فعندما تقابلنا لأول مرة، لم اكن اعلم من انت، اقسم على ذلك، ثم عندما رأيتك تبدي نحوي كل ذلك العطف والرقة، وذلك عند سلم الطوارىء، شعرت بأن عليّ ان ازداد معرفة بك، اما المهمة المطلوبة مني بشأنك فقد جاءت بعد ذلك بوقت طويل، وقد رفضت الاشتراك فيها.»

«ولكنك هنا، هل تنكرين ان ذلك بطلب من صحيفتك؟»

لم تستطع انكار ذلك، فقالت: «انني اتطلع إلى ترقية في عملي، فإذا لم احصل عليها فلن يكون بإمكاني النضال في سبيل الحصول على حق الوصاية على ابنتي، لقد أوضح لي رئيس التحرير ان الترقية متوقفة على كيفية تناولي هذا الريبورتاج.»

فلوى ميداس شفتيه: «هذا الريبورتاج» يعني انا كما اظن؟ هذا وكأنني سلعة تتبادلان بها، انت ورئيس تحريرك، المنافق.»

جعلها الألم ترتجف من رأسها حتى أخمص قدميها: «انك تظهرني بكلامك هذا، وكأنني انتهازية استغل ظروف الآخرين، صدقني انني لست كذلك.»

فقال ببرودة: «الصدق كلمة لا اتوقعها منك، وفي رأيي

ان مسألة ابنتك ما هي الا تمثيلية لاستدرار عطفي لكي أرضى بإجراء المقابلة معك، ألديك ابنة حقاً ام هي قصة خيالية؟»

«من الغريب ان لا أرى فيك أية بادرة من رحمة، بينما انت، على الأخص، ومن دون الناس جميعاً، من عليه ان يحس بالألم الساحق الذي يخلفه فقد الابن، أرق الليالي ووحشة الأيام وانت تتلهف إلى اخذه بين ذراعيك بينما تدرك ان هذا مستحيل، ولكن لا تزعج نفسك، فسأجد وسيلة أخرى، طريقة ما استعيد بها جورجينا، هل يرضيك هذا؟»

وإذ اعمتها المشاعر، استدارت نحو الطوافة لا تكاد تدرك إلى اين تأخذها قدماها، كل ما كانت تعرفه هو الهرب من هذا الوحش الذي كان لا يختلف عن تيري بشيء، فهو مهذب بالغ اللطف والرقة من الظاهر، بينما قلبه أشد صلابة من الصوان.

«انتظري يا جيل.»

فنظرت إلى الخلف، تقابل عينيه الزرقاوين بعينيها الجامدتين، وقد اكتسى وجهها بالتعاسة، وسألته: «ماذا تريد؟»

كانت ملامحه الكئيبة تمزق فؤادها، لقد كان يعلم شعورها نحو جورجينا، فقد بدا ذلك واضحاً في ملامحه المعذبة تلك: «انني آسف لما قلته عن ابنتك، ولكن عليك ان تفهمي شعوري أنا أيضاً، لم يعد ثمة طريقة تجعلني أسمح لك بالبقاء هنا، الآن.» وعندما رآها تهم بالتقدم منه مترددة، رفع يده يمنعها، وهو يقول: «اذهبي، ارجوك، ان دانييل

سيأخذك إلى أي مكان تريدينه، ان لديّ عملاً عليّ ان اقوم به هنا.»

ودون كلمة أخرى، نهض داخلاً إلى المنزل مغلقاً خلفه الباب الثقيل المصنوع من خشب السنديان، كانت وحدها في الفناء، ونظرت إلى الكؤوس البلورية الثمينة تتألق في أشعة الشمس وشعرت بقوة هائلة تدفعها إلى تحطيمها، تماماً كما حطم ميداس لتوّه كل حظ لها في استعادة جورجينا.

لقد تبددت كل الاحلام، وفي خلال دقائق سيعيدها الطيار إلى سيدني حيث تذهب إلى رئيس التحرير لتعترف له بفشلها، وهو سيكلف جيف بولن بعمل الريبورتاج، وسيستخدم هذا ما اعتاد عليه من وسائل لكي يفوز بالوظيفة، اما هي فيبدو انها لم تخلق لهذا النوع من الصحافة، ولولا جورجينا لتخلت عن كل مسعى لهذه الوظيفة المهترئة.

«هل تريدين المزيد من هذا الشراب؟»

أجفلت جيل لهذا الصوت الذي اخرجها مما كانت مستغرقة فيه من افكار، ونظرت إلى المرأة التي كانت تخاطبها والتي كانت تقف بجانبها، كانت امرأة في منتصف العمر ترتدي زياً خاصاً، فقالت جيل تجيبها: «كلا، شكراً.»

وعندما اخذت المرأة ترفع الصينية، اضافت جيل تسألها: «هل هناك هاتف يمكنني ان استعمله؟»

«هنالك واحد في بيت الضيوف، سأريك الطريق.» قالت المرأة ذلك مشيرة إلى احد المباني الأصغر حجماً والمقامة ناحية بحيرة السباحة.

ثم اعادت وضع الصينية على المائدة وذهبت مع جيل نحو البحيرة وهي تقدم نفسها بقولها: «انني ستيلا كيمبر، مديرة منزل السيد ثورن.»

فأجابت جيل بلهجة اوتوماتيكية: «تشرفنا.» ذلك انها لم تشعر برغبة في تبادل المجاملات الاجتماعية في هذه اللحظة، فقد كان قلبها مثقلاً وهي تفكر في ما عليها ان تقوله لرئيسها في العمل، ولم تشعر برغبة للاتصال به الآن، وقد يكون من الافضل إرجاء ذلك إلى حين عودتها إلى سيدني.

ولكن مديرة المنزل كانت قد فتحت الباب الآن، ثم تنحت جانباً لكي تمر جيل إلى الداخل، وهي تقول: «الهاتف هو في الغرفة الرئيسية.»

فقالت جيل من فوق كتفها: «شكراً لن أتأخر.»

«تأخري كما تشائين.»

ومنحتها المرأة ابتسامة ودوداً ثم تركتها وذهبت مغلقة الباب خلفها.

نظرت جيل حولها دون اهتمام، إذن فهذا هو المكان الذي يستضيف فيه ميداس اصدقاءه، اما هي فلم تعد مرشحة لصداقته... وتملكتها لهذه الفكرة، خيبة أمل جليدية، ذلك انها رغم كل شيء كانت تأمل في انه سيتفهم وضعها، ولكنه لم يمنحها حتى وقتاً للشرح، حسناً انه يستحق ان يحصل جيف بولن على هذا العمل فيمزق حياته الخاصة شر تمزيق.

ملأها التمرد لهذه الأفكار، فرفعت رأسها ثم سارت نحو غرفة الجلوس الرائعة الأثاث حيث كان الهاتف ظاهراً

للعيان على منضدة منخفضة وكان حول تلك المنضدة أريكتان من الجلد متقابلتان، كما رأت رفاً فوقه جهاز فيديو فوقه افلام عديدة، لقد كان ميداس فعلاً يشعر ضيوفه بكل انواع الترحيب.

وخلف غرفة الجلوس كانت هناك غرفة للنوم تماثلها جمالاً، ويتصل بها حمام رائع الجمال والاتساع، كما كان هناك مطبخ صغير يسمح للضيوف بأن يعدوا لأنفسهم الشاي أو القهوة أو ما يشاؤون من الأطعمة الخفيفة.

ولكنها ما لبثت ان جلست إلى الهاتف ثم ادارت القرص تطلب رقم بيل داوني، وعندما رد بيل عليها، بدا لها مرحاً بشكل يدعو إلى الشك، ربما كان يتوقع ان تخبره بأن عملها الذي كلفت به هو سائر على ما يرام، وسرعان ما اكتشفت انها على صواب في ظنها عندما قال: «انني عائد لتوي من اجتماع مع الناشر، وقد اخبرته باجتهادك في الحصول على موضوعه المحبب.»

فغاص قلبها وهي تقول: «انه يعلم مقدار صعوبته، أليس كذلك؟»

«انك تعلمين قول السيد سافاري من ان المستحيل يستغرق وقتاً اطول قليلاً؟» قال ذلك وقد بانت نبرة قلق في صوته، لا بد انه استشعر في صوتها اليأس، وردت عليه قائلة: «اعلم ذلك، وأنا أبذل غاية جهدي.»

فقال: «غاية جهدك هي ريبورتاج على مكتب سافاري، أراك تحاولين ان تخبريني بشيء، أليس كذلك؟»

«مثل ماذا؟»

«مثل ان ليس بإمكانك القيام بهذا العمل، ان جيف بولن

هو في مكتبي الآن، وهو يلتهب شوقاً إلى الحصول على هذه المهمة.»

وبالتالي على وظيفة نائب رئيس التحرير، كما كانت تعلم، وملأت ذهنها صورة وجه ابنتها البريء فتجمد اعترافها بالفشل على شفتيها، انها لا تستطيع ان تدع بيل يعطي المهمة إلى جيف، واخيراً قالت: «يمكنك ان تقول لجيف بأن يبحث لنفسه عن مهمة غير هذه، ان هذه لي أنا.»

«هل بإمكانك إذن القيام بها؟»

«وهل ساورك شك بذلك؟»

كان صوته قد سبق واخبرها بذلك، فشعرت بالحاجة إلى ان تقنعه بشكل أوفى، فتابعت تقول: «انني احدثك من جزيرة فينسيرو.»

وحملت اليها الأسلاك صوته يهتف بها: «انت أين؟»

«لقد سمعتني، انني في جزيرة ميداس ثورن الخاصة، وقد دعاني اليها بنفسه.»

ولم يكن ثمة حاجة تجعلها تذكر انه قد عاد فسحب دعوته.

فقال رئيسها بصوت مليء بالاعجاب: «انك عاملة سريعة.»

«إذن فلن تكلف جيف بهذا العمل؟»

فقهقه ضاحكاً وهو يقول: «انك حصلت على المهمة كلها لنفسك، هذا إلى انني لا استطيع ان اتصور ميداس ثورن يدعو جيف بولن إلى فينسيرو... وبالمناسبة، ما هو لون الدهان الذي تحبي ان نطلي به مكتبك الجديد؟»

فتدفقت في كيانها موجات من اليأس، لقد فعلتها وهي تجعل بيل يعتقد بأن الريبورتاج لم يبق منه سوى نسخه على ورقة نظيفة مع قليل من التنقيح. بينما هو ابعد ما يكون عن قبضتها، وتقبلت المجد الزائف الذي امطرها به بيل وهي تخفي تعاستها، ثم اقفلت الهاتف.

اخذ رأسها يدور، هل بإمكانها ان تكتب ريبورتاج عما رأته هنا، فقط؟ ولكن هذا اكثر من أي عمل قام به صحافي آخر، وقد يكون كافياً، بل يجب ان يكون كذلك مادام مستقبل جورجينا معلقاً عليه.

واخرجت دفتر ملاحظاتها من حقيبة يدها، ثم اخذت تطوف حول البيت خلسة، تسجل التفاصيل التي تجعل القارىء يظن بأن معرفتها بميداس ثورن حميمة اكثر من الواقع، ومن معرفة كل شخص آخر به، انها لن تكذب، ولكن ربما بإمكانها ان تضخم الواقع قليلاً، فقراؤها ليسوا بحاجة إلى ان يعرفوا ان وصفها للجزيرة قد سجلته بعد ان طردها ميداس بكل احتقار.

قررت ان تبقى في هذا البيت رغم ان ذلك سيكون لفترة قصيرة، فقد اعجبها شكله البهيج والجو الصيفي المشرق في غرفة الجلوس، وكانت غرفة النوم مشرقة تشرح الصدر، هي أيضاً، اثاثها من الخيزران الأبيض وغطاء السرير من الحرير، كما كان ثمة ستائر ترتفع من الأرض إلى السقف، كاشفة عن غابات خضراء ممتدة، وابتسمت جيل لببغاء بألوان الأحجار الكريمة كان جاثماً على فرع شجرة على بعد ذراع منها.

كان من المؤسف ان زجاج النوافذ كان مغلقاً، فرائحة

الغابات اكثر روعة من ان يستيقظ المرء على الهواء المنبعث من جهاز تكييف الهواء، وكان المنظر من غرفة الجلوس والمطبخ الصغير اكثر جمالاً، حيث كانت هناك البحيرة والمرج الفسيح الممتد نحو الشاطىء، وبعث هذا الجمال الصارخ الدموع في عينيها، كم كانت جورجينا ستحب هذا المكان.

وانعشها التفكير في ابنتها، وجدد همتها، فأخذت تملأ دفترها بكل التفاصيل التي استطاعت التقاطها من استكشاف البيت إلى الأطعمة التي تملأ خزانة المطبخ، إلى ملابس السباحة ومعاطف الحمام في غرفة الملابس الملحقة بغرفة النوم، كل ثوب كان بقياسات مختلفة، وإلا لساور جيل الشك في ان هذه الملابس هي لامرأة في حياة ميداس، وكانت ردة الفعل في نفسها، لهذه الفكرة من القوة، بحيث جعلها ذلك تنتبه إلى نفسها، إلى ان فكرت، منطقياً، بأن هذه الثياب هنا لاستعمال الضيوف، لم يكن يغرب شيء عن ذهن ميداس.

«السيدة كايسي؟»

وإذ عرفت صوت الطيار، اغلقت باب غرفة الملابس، وتسللت إلى الحمام، ثم اخذت تناديه منه: «سأخرج اليك بعد لحظة.» ثم خرجت بعد ان غسلت يديها ونشفتهما بمنشفة ماركة بيير كاردان، وهي تقول: «لم اسمعك وانت تدخل، يا دانييل.»

«اخبرتني السيدة كيمبر بأنني سأجدك هنا، فقد طلب مني السيد ثورن ان آخذك معي عصر هذا النهار.»

فقالت وافكارها تتسارع في وضع خطة: «ما ألطف هذا

منه، لقد كنت متوعكة فرأى السيد ثورن ان ربما عليّ ان اعود إلى سيدني، ولكنني اتصلت بطبيبي لتوي فرأى ان الراحة هي أحسن شفاء، وهكذا سأستلقي هنا فترة من الوقت.»

«اتظنين رحلة الطائرة هي التي سببت لك هذه الوعكة؟»

لقد صدق أول جزء من قصتها فأجابته قائلة: «كلا بالطبع، فقد كانت الرحلة رائعة، ولكنني مع الأسف، لا احتمل الأسفار.»

«هل استطيع ان احضر لك شيئاً؟»

«كلا، شكراً، بعد قليل من الراحة سأكون في أحسن حال.»

«كما تشائين، وانا تحت أمرك إلى ان تصبحي جاهزة للرحيل.»

فابتسمت بخجل: «آه، كان ذلك عندما كنت صممت على العودة إلى سيدني، ولكن الآن بعد ان طمأنني طبيبي، فأنا لن أرحل هذه الليلة على الاطلاق، ولهذا لا حاجة بك إلى انتظاري.»

بدا التردد على الطيار: «في هذه الحالة، سأذهب لأتأكد من ان السيد ثورن لن يحتاجني هذه الليلة.»

«أؤكد لك انه لن يحتاج اليك، فسنكون مشغولين جداً... اظنك فهمت، أليس كذلك؟»

فبدا الحرج البالغ على دانييل براساد، وبدا عليه التمزق بين ولائه لميداس، وبين رغبته في البقاء بعيداً عن شؤون سيده العاطفية، وكبتت بهجتها، فقد بدا دانييل مقتنعاً بأنها آخر صديقات ميداس ثورن، ولم

يكد يصدق انه تخلص من هذه الرحلة، هذا بينما تملكها نوع من تأنيب الضمير لم تكن تحب تضليل الطيار، ولكن اليأس كان يتملكها، فهي لا تستطيع الرحيل قبل ان تكمل مهمتها.

أخيراً قال دانييل: «حسناً جداً، اذا كنت واثقة من ان السيد ثورن لن يحتاجني مرة أخرى هذا النهار، فسأعود إلى سيدني، ان لديّ هناك اعمالاً عليّ إنجازها، وهكذا سأستفيد من هذا الوقت الزائد.»

سألته: «هل انت متزوج، يا سيد براساد؟»

فقال: «ارجوك ان تناديني باسمي دانييل، ان لدي زوجة وأربعة أولاد، انما المفروض ان يتبعوني إلى اوستراليا، وهم الآن يعيشون في مسقط رأسي مدينة نادي.»

تذكرت انه من فيجي فقالت: «لا بد انك مشتاق اليهم.»

بدت البرودة في عينيه، ولكنه قال باسماً: «جداً، ونأمل في الاجتماع قريباً.»

ثم انحنى لها وذهب، وحيرتها ردة فعله، كل ما فعلته هو سؤاله عن أسرته، لا بد انه كان لا يستحسن ما يظنه من علاقة بينها وبين ميداس، وتساءلت كيف جاء للعمل مع ميداس ثورن، ولماذا لم ترافقه أسرته منذ البداية؟

لكنها عادت تذكر نفسها بأن هذا ليس بذي أهمية بالنسبة إليها الآن، فقد حصلت على هدفها وهو البقاء في فينسيرو، اما الآن، فهي بحاجة إلى المزيد من رؤية المكان، وإذ أدركت حقيقة ما قامت به، شعرت بدوار، كان هذا هو نوع العمل الذي كان جيف سيقوم به لإنجاز الريبورتاج، ولكنه بالنسبة اليها كان عملاً لا اخلاقياً، ما

الذي سيظنه ميداس عندما يكتشف ذلك؟ ان هذا سيثبت كل ما يعتقده عن مهنتها.

ولكن الوقت قد فات الآن لتغيير رأيها، فقط اقلعت الطوافة، وصوت محركها سيجعل ميداس يفترض انها ذهبت مع الطيار.

مرت الساعة التالية بسرعة، انهت خلالها قائمة بمحتويات المنزل، ثم وضعت ملاحظات عن كل ما رأته عيناها منذ وصولها إلى الجزيرة، بما في ذلك رحلة طائرة المروحية، وانواع المرطبات التي قدمت اليها.

وسرعان ما اصبح لديها صفحات من الأشياء، التافهة العادية، وتنهدت معترفة بذلك، لم تكن تحتوي على مادة دسمة تحدث قراءها عن أي نوع من الرجال هو ميداس ثورن، كل شيء كتبته كان سطحياً.

اخذت تمضغ طرف قلمها، ان بإمكانها ان تضيف انطباعاتها الخاصة، مبتدئة بأول لقاء لهما عند سلم الطوارىء ولكنها كرهت الكتابة عن ذلك، فقد شعرت وكأن هذا يتدخل في أمورها الخاصة، كانت تريد ان تحتفظ بتلك اللحظات كشيء خاص لا ان تشرك بها ملايين القراء، ولكن ماذا غير هذا يمكنها الكتابة عنه؟ ذلك ان من المفروض ان تكون هذه الأشياء الصورة الجانبية لميداس ثورن، الانسان.

وعندما انتهت من الكتابة، كانت الأرض تحت قدميها مغطاة بصفحات دفتر ملاحظاتها، حتى إنجاز هذا القدر الضئيل من مهمتها قد اصابها بالانهاك.

كان الوقت مايزال عصراً، وهي لا تستطيع المغامرة

بالخروج قبل حلول الظلام، فماذا تفعل إلى ذلك الحين؟ ولاح لها السرير المزدوج ففكرت في اخذت غفوة قصيرة، وكانت قد سبق وانعشت نفسها ببعض القهوة والبسكويت والجبن من المطبخ.

جمعت أوراق المفكرة المتناثرة على الأرض ودستها في حقيبة يدها وهي تذهب إلى غرفة النوم، وقد اغلقت الباب نصف اغلاقة في حالة وقعت عين احد على داخل البيت، ثم ازالت كل أثر لوجودها.

خفق قلبها انفعالاً وهي تتمدد على السرير، شعرت بحقيقتها، وانها متطفلة في املاك ميداس الخاصة، كم سيكرهها عندما يكتشف وجودها؟ ان صفتها الصحافية تجعلها لا تهتم بذلك، ولكنها رغم ذلك كانت تشعر ببالغ الانزعاج، لقد كان ميداس دعاها بصديقته، والأصدقاء لا يخونون بعضهم البعض.

أخذ الإسترخاء يتملك جسدها شيئاً فشيئاً، ولكن عقلها مازال يتصور ميداس جالساً بجانبها على سلم الطوارىء، ومشيراً لها إلى معالم الجزيرة وهما قادمان في الطائرة، ثم وهو يشرب نخب جمالها، وما لبثت ان استغرقت في النوم ووجه ميداس في خيالها.

لا عجب ان حلمها كان عنه، ولكن ما أزعجها هو طبيعة ذلك الحلم، لقد جاء اليها، ليس في بذلة العمل، ولكن ملتفاً بثوب عضو مجلس الشيوخ الروماني منذ ألوف السنين، بدا في هذه الملابس اكثر نبلاً، وقد اصبح لونه اشد سمرة حتى شابه لون خشب الماهوغاني، وشعرت نحوه بحنين بالغ لم تشعر بمثله قط من قبل.

تمتمت وهي ترفع ذراعيها نحوه: «آه، يا ميداس.»

فنظر اليها بعينين تذوبان رغبة، ثم قال وهو يقترب منها: «جيل، يا صديقتي ويا شقيقة روحي.»

عند ذلك فقط انتبهت إلى انها كانت تسمع صوته حقاً، ولكنه كان آتياً من خارج البيت، جاهدت لكي تستيقظ تماماً وقد ادهشها ان تجد الغرفة في الظلام، لا بد انها نامت عدة ساعات، وبحذر بالغ خلعت حذاءيها ثم سارت متبعة صوت الرجال إلى غرفة الجلوس، ومن خلف الستائر، رأت ميداس وجماعة من الرجال مجتمعين في الفناء لا يبعدون سوى ياردات قليلة عن مخبأها، كانت المنطقة غارقة في فيض من الضوء جعل الليل نهاراً في الخارج، ما جعل من الصعب عليها تنفيذ خطتها في دس أنفها حولهم تحت جنح الظلام.

جاء رجل آخر لينضم إلى الجماعة عرفت فيه تيد حارس ميداس الخاص، وكان ثمة زورق بخاري يتألق عند رصيف رسو القوارب، لا بد ان الرجال قد جاؤوا في المركب أثناء نومها.

وعندما اجهدت نفسها في التنصت، لم تستطع ان تميز ما كان الرجال يتحدثون عنه، التقطت عدة لكنات اجنبية، وإشارات متباعدة فهمت منها انهم يتحدثون عن الأعمال، ولا بد ان هذا يتعلق بذلك البيان الكبير المتوقع من شركة ميداس.

لم يكن التنصت على شؤون عمله جزءاً من خطتها عندما كانت قررت البقاء هنا من دون دعوة، ما جعلها تشعر بالذنب لتنصتها هذا الآن، ولكن حتى ولو تجاهلت ما كان

يحدث، فان ميداس لن يصدقها، فلتتابع التنصت إذن لتسمع القصة كاملة رغم العقاب الذي ستتلقاه بعد ذلك، فهي ستتلقى اللوم، على كل حال، عندما يكتشف بقاءها رغم إرادته، فهي على الأقل ستستفيد من هذا التنصت، فإن نشر خبر قصة عمله الجديد سيضمن مستقبل جورجينا إلى الأبد.

تباً لذلك فهي لا تستطيع سماع شيء من خلال مصاريع هذه النوافذ السميكة، سارت إلى الباب وشقته قليلاً، وعندما لم ينظر في اتجاهها احد أوسعت الشق، وطرقت مسامعها عدة كلمات جاهدت في ان تجعل منها شيئاً مفهوماً.

كانوا يتحدثون عن الماس وتطويره الذي سيحدث ثورة في عالم صناعته، ولكن ماذا؟ وأوسعت الشق قليلاً.

بعد ذلك بلحظات تجمدت من الذعر، ذلك ان ميداس قد تحرك مقترباً من الباب، وما ان خنقت عطسة فاجأتها، حتى نظر في اتجاهها، وسرعان ما توتر جسمه إذ وقعت عيناه عليها.

أغلقت الباب ثم استندت إليه وقلبها يخفق بعنف، لقد رآها وفي أية لحظة الآن، سيندفع احد حراسه اليها ثم يجرها إلى الخارج، ان عليها أن تقوم بشيء ما وبسرعة.

وإذ كانت واثقة من ان ميداس سينتظر انتهاء الاجتماع وإدخال ضيوفه المنزل بأمان قبل ان يأمر بطردها، أتتها فكرة، فهي إذا قامت بدورها بسرعة كافية...

اندفعت إلى غرفة النوم فخلعت ثيابها بسرعة هائلة، ثم اختطفت من غرفة الملابس مايو سباحة، وبنظرة سريعة إلى البطاقة الملصقة عليه رأته صغير الحجم بالنسبة اليها، ولكنه قد يصلح، وهكذا اخذت بارتدائه.

كان ذا لون أسود فضي، وكان ضيقاً نوعاً ما على وركيها، ولكن الصدرة كانت هي المشكلة، فهي ضيقة جداً، لو كانت في ظروفها العادية لألقت بهذا المايو جانباً باعتباره مكشوفاً اكثر من اللزوم، ولكن لم يكن لديها الآن وقت لاختيار مايو آخر.

اخذت نفساً عميقاً ثم سارت فوق ثيابها المتناثرة على الأرض عائدة إلى غرفة الجلوس، حيث رسمت على شفتيها المتوترتين ابتسامة مشرقة، ثم فتحت الباب على اتساعه، كانت ضربة موفقة منها إذ حول الرجال جميعاً رؤوسهم نحوها وقد كادت عيونهم تخرج من محاجرها وهي تمر بينهم، كانت شاعرة بالضيق وهي تسمع تمتماتهم وصفيرهم المنخفض تحيي وصولها، ولكنها تجاهلتهم وهي تتوجه رأساً إلى ميداس.

بدا عليه وكأنه يهم بالإنفجار، رغم جمود ملامحه... ولكن عينيه كانتا تتألقان غضباً وكأنهما فوهتا بركان.

ترنحت خطواتها وهي تقترب منه، ولكنها أرغمت نفسها على التقدم وهي تقول: «ميداس يا حبيبي، لا اظن لديك مانع إذا انا ذهبت إلى السباحة اثناء انشغالك، فهذه الاجتماعات التي لا تنتهي، تشعرني بالنعاس.»

وبينما تصاعدت تمتمات الاستحسان من الضيوف، إلا ان ميداس بقي دون حراك، وتراجعت هي قليلاً وقد اتسعت عيناها خوفاً من ان يأمر بإلقاء القبض عليها.

وإذا بميداس يقول: «اذهبي واسبحي، يا... حبيبتي.» كان في عينيه اسئلة، أيضاً، رغم ان الغضب سرعان ما طمسها.

ولم تكن هي بحاجة إلى اكثر من ذلك لكي تتوجه نحو البحيرة بسرعة، راجية ان تكون المياه دافئة، ووجدتها فعلاً كذلك. فأخذت تعوم، دون ان تجرؤ على رفع بصرها لترى ماذا يفعل ميداس.

وبينما هي تستدير من المياه، وصل إلى مسامعها ذلك الصوت ذو اللكنة الألمانية يقول: «انك شخص غامض، يا ميداس، فأنت لم تخبرنا بأنك اعددت لنا هنا هذا النوع من الترفيه.»

«انه ليس ترفيهاً.»

اخطأ الرجل فهم البرودة في لهجة ميداس، فقال له: «تريدنا ان نرفع ايدينا عنها، أليس كذلك؟ حسناً، كل ما يمكنني قوله هو مرحباً بعودتك إلى عالم الرجال، فقد حان الوقت لذلك.»

بقيت تسبح إلى ان تلاشت الأصوات مبتعدة نحو المنزل الكبير، ولا بد ان ميداس أرادها أن تسمعه وهو يقول: «تيد، اخبر السيدة كايسي بأن توافيني إلى المكتب عندما تنتهي من السباحة، انني اريدها بظرف خمس دقائق.»

كان صوته الفولاذي لا يقبل المناقشة، ولأول مرة تشعر فيها جيل بالخوف مما فعلت، وفي نفس الوقت تملكها احساس بالفوز، كيف سيتمكن ميداس من طردها الآن دون ان يفسر سبب رحيلها المفاجيء لضيوفه؟ ان بإمكانه طبعاً ان يخترع سبباً لذلك مثل انها ذهبت لزيارة أمها المريضة، ثم يضعها في زورق يأخذها إلى اليابسة، انها الآن بين يديه، ومجرد تفكيرها في مواجهته جمد الدم في عروقها.

انحدر حارسه الخاص إلى ضفة البحيرة وبين يديه

منشفة منشورة: «الأفضل ان تخرجي الآن من البحيرة، يا سيدة كايسي، فالسيد ثورن في انتظارك.»

تسلقت صاعدة ومن ثم سمحت له بأن يلفها بمنشفة بحجم البطانية، كان هواء الليل بارداً فأخذت ترتجف، ولم تعلم ما إذا كان هذا الارتجاف نتيجة برودة الجو أو خوفاً من المواجهة المنتظرة.

حدثت نفسها بأن الذنب في ذلك هو ذنبها، هذا بينما كانت تلف المنشفة حولها وتتبع تيد إلى داخل المنزل.

الفصل الرابع

سارت جيل تاركة آثار قدميها المبتلتين على طول الرواق الفسيح المبلط بالقرميد والذي ترك في نفسها هيبة منزل مترف للغاية، وكانت النوافذ عالية واسعة قد اسدلت عليها ستائر من القطيفة، كما كانت تغطي الأرض الخشبية المصقولة سجاجيد من طراز القرن التاسع عشر، وكان يزين الجدران نقوش يدوية ورسوم زيتية.

كان مكتب ميداس في الطابق الأرضي، رغم ان كلمة مكتب لا تكاد تعني تلك الغرفة البالغة الاتساع التي قادها تيد اليها تعنيها حقها، ولم يكن ثمة أثر لميداس.

وإذ كانت ماتزال ترتجف، فقد اتجهت بلهفة إلى المدفأة الرخامية الضخمة التي كانت النيران تضطرم فيها، كان امامها مقعدان بذراعين ومنضدة للقهوة من الطراز الجورجي، وإلى الخلف من ذلك قام مكتب كبير من خشب الأرز فوقه أوراق وجهاز كمبيوتر. لا بد ان هذا هو المكان الذي يعمل فيه ميداس اثناء وجوده في فينسيرو.

«ما هي اللعبة التي تقومين بها؟»

فوجئت بهذا الهجوم فاستدارت بسرعة وهي تتشبث بالمنشفة التي أوشكت على السقوط، وكانت بقعة مبتلة قد غيرت لون السجادة العجمية تحت قدميها، ثم قالت: «ليس لديّ أي عذر، فقد أدركت انك ستأمر بطردي، ولهذا اندفعت بذلك الشكل التمثيلي لكي امنعك من ذلك.»

www.elromancia.com

«هذا لا يفسر وجودك هنا على الاطلاق، ظننتك رحلت مع دانييل منذ ساعات.»

فقالت بسرعة خوفاً من ان يعتبر ذلك خطأً من الطيار: «يجب ان لا تلوم دانييل، فقد اخبرته انا انك دعوتي لقضاء الليلة هنا.»

لم تستطع ان تواجه نظراته المزدرية وهو يجيب: «كان عليه ان يسألني قبل ان يقتنع بكلامك.»

«لقد أراد القيام بذلك، ولكنني جعلته يفهم اننا... أنا وانت...» ولم تستطع ان تكمل.

«حبيبان؟» وعندما أومأت برأسها تابع يقول: «لا عجب في ان دانييل لم يشأ ان يستشيرني، فانت ربما قد صعقته بالإحراج.»

إذن فليس من عادة ميداس استضافة نساء في جزيرته، وأثار هذا الاكتشاف في نفسها سروراً لا مبرر له سرعان ما نبذته، وماذا يهم لو كان له هنا صديقات؟ وقالت تجيبه: «انني آسفة لتضليله.»

فرفع حاجبه: «ولكن ألست آسفة لبقائك بادعاء زائف؟»

توسلت إليه عيناها بأن يتفهم: «كان عليّ ان اقوم بذلك، فعلى هذا الريبورتاج يتوقف الكثير، فما قمت به الآن، لا يكفي لكي يمنحني الأمل في استعادة الوصاية على ابنتي.»

اخذ يتخلل شعره باصابعه الطويلة، ثم قال: «انكم تعتقدون ان الغاية تبرر الوسيلة، أليس كذلك؟»

كان يضعها في صف واحد مع بقية الصحافيين الكريهين لديه والذين اخذوا يلاحقون زوجته وابنه إلى ان أوردوهما حتفهما، ولو كان صفعها لما كان شعورها بالإذلال أقل من اعتباره هذا لها.

«لا استطيع تجنب ما تظنه بي كما ان ذلك لا يهمني.» وأدركت انها تكذب حالما نطقت بهذه الكلمات، «ولكنني اهتم بما يحدث لابنتي، ألا تستطيع ان تفهم هذا؟»

«الذي افهمه ان لديها أماً ماكرة مخادعة، ربما المحكمة كانت تدرك ما تفعل إذ اعطت حق الوصاية لأبيها.»

«أيها الوغد.»

كان استفزازه لها اكثر من ان تستطيع احتماله، فاندفعت نحوه تلكمه بقبضتها تريد ان تمحو عن وجهه الوسيم هذا الغرور، ما الذي يعرفه عن حب الأمومة؟ أو عن اخلاق زوجها السابق؟ لو كان يعرف تيري حقاً لما قال كلاماً كهذا أبداً... أبداً... وجاءت كلمتها على مسمعه بهياج عقيم: «كيف تجروء على الحكم عليّ؟ ألا ترى ما حصل لأسرتك، وهي تحت حمايتك؟»

«يا لك من امرأة عنيفة، اقفلي فمك يا امرأة.»

وامسك بمعصمها يجرها لكي تقف، مبعداً إياها عنه عدة انشات، لم تر قط من قبل رجلاً غاضباً بهذا الشكل، فقد كان الإجرام بادياً في عينيه.

«انني آسفة، لم اكن اريد ان اقول ذلك.» همست بهذا القول وقد افزعها فقدانها للسيطرة على نفسها، ولكن الضرر كان قد حدث.

«يا لك من حقيرة، كيف امكن ان ظننت مرة انني منجذب اليك؟»

سبب لها معرفتها بأنه كان قد انجذب إليها، سبب لها ألماً لا يصدق وهي تدرك ان شعوره هذا قد مات في مهده، فتهالكت على الأرض متشبثة بقبضته وهي تهمس متوسلة: «سامحني، ارجوك، ان ما قلته عن ان جورجينا يجب ان

تكون مع تيري قد افقدني صوابي، لطالما سألت نفسي عما إذا كان وجودها معه يمكن ان يكون صواباً.»

فقال وعيناه المتوهجتان تمزقانها: «وهل وجدته كذلك؟»

اخذت تعض شفتها لحظة قبل ان تجيب: «كلا... تيري هو انانى للغاية، لديه صديقات كثر، لا يمكنني ان اصدق ان حياة جورجينا معه ستكون افضل.»

«اما أنت فتقومين بدور مثالي لأجلها، أليس كذلك؟»

اخفضت رأسها مطأطئة: «لا بد أنك سبق وعلمت جواب ذلك، فأنا اقوم بأحسن ما استطيعه، رغم ان ذلك مازال لا يساوي شيئاً حتى الآن.»

وحاولت ان تستقيم واقفة وهي تقول: «دعني اذهب، ارجوك، سأرتدي ثيابي، وبعد ذلك يمكنك ان ترسلني إلى سيدني.»

فقال: «ليس بهذه السرعة، فقد تكونين حصلت على ما جئت لأجله، ولكن هذا يجعلني في مشكلة خطيرة.»

«مشكلة من أي نوع؟»

تركها أخيراً، ثم سار إلى المدفأة حيث اتكأ على رفها وأخذ يحدّق في اللهب: «ان شركائي في العمل يظنونك صديقة أعيش معها.»

فأومأت وهي تدعك معصمها الذي انطبعت عليه آثار اصابعه، لقد نسيت كلياً الرجال الآخرين، وسألته: «هل ثمة أهمية لو انهم علموا انني في الحقيقة صحافية قد تسللت إلى هنا دون دعوة؟»

أجاب بلهجة متفجرة اجفلتها: «لذلك أهمية بالنسبة إليّ،

فهم يعلمون انني لا اثق بالصحافة، وقبل ان يأتوا إلى هنا وافقوا على قانوني وهو ان لا ينشر شيء عن المشروع قبل ان اسمح أنا بذلك، فوجود صحافية هنا سيثير تساؤلات لست مستعداً للإجابة عليها.»

وضعت يدها على فمها وهي تتذكر ما كانت مسامعها التقطته عن مشروع سيحدث ثورة في صناعة التعدين، وتملكها الذعر للمشكلة التي قد يكون اندفاعها قد سببه، وسألته بتعاسة: «ما الذي بإمكاني عمله؟ لقد فات الأوان لإلغاء الانطباع الذي أوجدته هنا.»

فلوى شفته هازئاً: «هذا بالضبط هو السبب في ان عليك ان تنهي ما بدأت به، عليك ان تستمري في دور صديقتي حتى ينتهي هذا المؤتمر.»

نظرت اليه ذاهلة، أرادت ان تصلح ما افسدته ولكنه يطلب الكثير، ودار رأسها: «لا استطيع، فأنا لست ممثلة.»

«لقد قمت بعرض حسن قرب البحيرة عندما قمت بدور حبيبة لي.»

«كان الأمر مختلفاً في ذلك الحين وقد ألجأني اليأس اليه، ولكنني لا استطيع القيام به مرة أخرى.»

«ولماذا لا؟ اترينني كريهاً عندك إلى هذا الحد، باعتباري رجلاً لا يستطيع حتى حماية أسرته؟»

فشحب وجهها: «كلا، لقد اعتذرت لما قلته بهذا الشأن، وقد قلته في نوبة غضب، ولم اكن اعنيه على الاطلاق.»

هز رأسه وكأنه يريد ان يتخلص من ذكرى متسلطة: «ليس هذا هو موضوعنا الآن، المهم هو ما يظنه شركائي عن عملك هنا، فإذا ما تابعت تمثيلك، فأنا مستعد لمكافأتك على ذلك.»

نظرت اليه بحيرة: «تكافئني، وكيف؟»

«إذا انت وافقت على القيام بهذا الدور، سأمنحك المقابلة الغالية بالنسبة إليك.»

لا بد ان مشروعه ذاك هو من الأهمية بحيث يلجئه إلى مثل هذا التنازل، ان بإمكانها ان تتصور مبلغ صعوبة هذا العرض منه لها، بالنسبة إليه، كان الإغراء كبيراً، فلو انها قبلت فستحصل على قصة هي ضربة الحظ التي تجعلها تستعيد ابنتها، ولكنها مازالت مترددة، ففي قبولها شروطه، تثبت بذلك كل ما يعتقده عن مهنتها، سألته بيأس: «وكيف يمكنني التمثيل وكأننا حبيبان، بينما لا يطيق احدنا الآخر؟»

فسار نحوها ومد يده يزيح يدها التي كانت غطت بها عينيها وهو يتمتم: «قد تدهشك النتيجة، فكري في ذلك وكأنك تتدربين عليه.»

رفعت إليه عينين مثقلتين بالأسى، فأدهشها ان ترى على ملامحه رقة كانت تتناقض مع برودته السابقة، سألها بلهجة غريبة: «اتظنين حقاً ان ليس بإمكانك القيام بذلك؟»

فقالت وهي ترتجف: «انا.. لا اريد ذلك.»

«ولكنك ستقومين به، أليس كذلك؟»

«نعم.» هل كان هذا صوتها يعطي الموافقة على عرضه الجنوني؟ واثبتت ذلك ابتسامته الراضية، بينما تملكها هي الخوف، فقالت وكأنها تحدث نفسها اكثر مما تحدثه: «ان ذلك مجرد تمثيل، اعني ان علينا فقط ان نبدو امام الآخرين وكأننا حبيبان، أليس كذلك؟»

فسألها: «هل تريدين ان تعلمي إلى أيّ حد سأسير في هذه التمثيلية؟ إلى أي حد تريدينها انت أن تصل؟»

إهتزت للجواب الذي وجدت نفسها تريد ان ترد عليه به، انها طبعاً لا تريد صلة حب حقيقية معه، وما سيحدث بينهما هو فقط ليخرجهما من ظرف صعب.

«انني سأقوم بكل ما هو ضروري لكي أفي بنصيبي من هذا الاتفاق.»

وشعرت بالذعر، إلى أي مدى عليهما ان يسيرا في هذا الأمر؟ وإلى أي مدى تريده هي ان يصل؟

تمتم يقول: «طبعاً، فالصحافيون يقومون دوماً بما هو ضروري للفوز بما يريدون، أليس كذلك؟»

هل هذا هو ظنه في ما كانت تقوم به؟ إن رأيه بها سيء جداً، وسارت نحو المدفأة حيث وقفت مشبكة ذراعيها حول صدرها، ثم قالت: «لا اظن عملنا هذا سينجح.»

«بل سيكون ذلك إذا أردته انت، لقد قمت بذلك التمثيل من قبل عند سلم الطوارىء، ونجح، فلماذا لا ينجح الآن؟»

فقالت بإصرار: «لم يكن ذلك تمثيلاً، ولكن ما فائدة الكلام؟ فأنا لن استطيع اقناعك أبداً بخطأ ظنك بي.»

«ليس عليك ذلك، عليك فقط ان تقنعي شركائي بأنك صديقتي.»

نظرت إليه بفضول: «وإذا لم افعل؟»

«عند ذلك قد تجدين طرق العودة إلى سيدني غير متاحة لك.»

«اتعني انك ستجعل ذلك مستحيلاً؟»

«سأكون من الانشغال بأموري العملية بحيث لا أتمكن من التفكير في أمرك.»

فحملقت فيه قائلة: «لا يمكنك ان تحتجزني هنا رغم إرادتي.»

«ومن يقول ان ذلك رغم إرادتك؟»

كان الحق معه، فقد رأى الكثيرون تمثيلها سيصدقون عند البحيرة، فإذا هي اتصلت بالشرطة متهمة ميداس باحتجازها هنا، من سيصدقون؟ ميداس بكل سلطته ونفوذه، أم يصدقونها هي؟ كان الجواب واضحاً إلى حد يدعو إلى الكآبة، وقالت باستسلام: «حسناً جداً، سأقوم بذلك ولكنني أريد وعداً منك بأن تعطيني قصتك قبل رحيلي.»

فنظر اليها ببرودة: «لم اتعود إعطاء كلمتي مرتين في موضوع واحد، ستحصلين على ما تريدين كتابته بكل الفائدة التي قد يأتيك بها.»

«انه سيفيد جورجينا إلى أقصى الحدود.»

قالت ذلك وهي تشعر ان ذلك سيسبب لها نفس المقدار من الضرر بعلاقتها مع ميداس ذلك انه ليس ثمة أمل الآن في ان يعودا صديقين وآلمتها هذه الفكرة.

سألته: «وماذا سأفعل بالنسبة للملابس وأدوات الزينة؟ فقد جئت إلى هنا لقضاء نهار واحد، وبالتالي لم احضر معي ملابس كافية.»

«ستجدين مجموعة جيدة من الملابس في الطابق العلوي، وفي الحمامات كل أدوات الزينة، وإذا انت كتبت قائمة بكل ما تحتاجينه، فسأطلب من دانييل ان يحضرها اليك مع بريد الصباح.»

لم تستطع مقاومة السؤال: «حتى ولو لم يكن هناك مواصلات إلى سيدني لعدة أيام؟»

بقي وجهه جامداً وهو يجيب: «ان طائرة المروحية ستستعمل لأشياء اكثر أهمية.»

تجاهلت سخريته وهي تسأله: «إلى متى علي ان أبقى هنا؟»

«سينتهي عملي في خلال أيام أو اسبوع على الأكثر.»

اخذت افكارها تتسارع، ان مدة اسبوع ستمنحها وقتاً كافياً لكتابة الريبورتاج، وستكون الترقية من نصيبها خلال أسبوعين، ورفعت هذه التوقعات من معنوياتها، ان اسبوعاً ليس هو الأبد.

وقالت مترددة: «هنالك أمر آخر، انني عادة اتصل بابنتي هاتفياً قبل ان تذهب للنوم.»

فهز كتفيه قائلاً: «اتصلي بمن تشائين، ما عدا صحيفتك.»

فقالت بانزعاج: «هل تظنني سأفعل ذلك؟»

أجابتها نظرته الساخرة بأنه يظنها تفعل أي شيء يناسبها، وحاولت ان تقنع نفسها بأن رأيه فيها لا يهمها، ولكنها لم تستطع.

قال فجأة: «أريد ان أود إلى ضيوفي، ان مدبرة المنزل ستأخذك إلى غرفتك ويمكنك ان تغيري ملابسك قبل العشاء.»

فنظرت إليه مجفلة: «الليلة، ألا يمكن ان يرسل إليّ طعام العشاء في غرفتي؟»

«كلا، فالآخرون ينتظرونك بكل لهفة.» وكانت لهجته تنبيء بأنه لا يشاركهم لهفتهم. «والأفضل ان نبدأ تمثيل دورنا.»

رن الهاتف الداخلي مستدعياً مديرة المنزل، وسرعان ما جاءت المرأة غير مبدية أية دهشة قد تكون شعرت بها لرؤية جيل مازالت هنا، لا يكسوها سوى ثوب سباحة ضئيل

الحجم، وثبتت ردة فعلها ظن جيل بأن ميداس لم يتعود استضافة نساء في فينسيرو، ما الذي كان سيحدث لو انها لم تكن صحافية؟ لقد كان سعيداً بدعوتها إلى هنا قبل ان يعلم بأمرها.

كانت من الاستغراق في هذه الافكار بحيث ان مديرة المنزل فتحت امامها باب غرفتها قبل ان تجد جيل وقتاً تتعرف فيه إلى ما حولها.

«ستجدين كل ما انت بحاجة إليه في غرفة الملابس وفي الحمام.» قالت لها المرأة ذلك ثم تركتها تستكشف الجناح بمفردها.

كانت غرفة النوم فسيحة تطل على الحديقة والنهر، وكان غطاء السرير يتناسب لونه مع الستائر، وكان للغرفة ثلاثة أبواب.

الباب الأول يقود إلى غرفة الملابس، كانت تحتوي على مجموعة جديدة من ملابس النساء معلقة على مشجب في ناحية من الغرفة، وفي الناحية الأخرى كان هناك مشجب لملابس الرجال، وارتجفت وهي تلمح بذلة ميداس المخططة التي كان يرتديها في أول لقاء لهما، انه طبعاً لا يتوقع منها ان تشاركه غرفة الملابس، وكان هناك باب آخر في آخر الغرفة، لا بد انه يقود إلى غرفته، حاولت إدارة مقبض الباب ولكنه كان مقفلاً.

عادت إلى غرفة النوم وفتحت الباب الثاني، حيث رأت حماماً فسيحاً يحتوي على حوض كبير ملحقاته من النحاس الأصفر وبجانبه سلة من الخيزران المجدول قد تكومت فيها مناشف بيضاء.

مادام ميداس يتوقع منها ان توافيهم للعشاء، فقد اجلت بقية الاستكشاف إلى ما بعد، وابتدأت تملأ حوض الحمام بالماء الساخن. وإلى ان يمتلىء الحوض، شغلت نفسها باختيار ثوب من غرفة الملابس، كان لمن اختار هذه الملابس لأجل ميداس، ذوق ممتاز، رأت ذلك وهي تجرب بلوزة مطرزة على جسمها، كانت جزءاً من طقم من قطعتين، وكانت التنورة الواسعة مجموعة عند الخصر بشريط مطرز من المطاط، وكذلك كان التطريز على الحواشي السفلى، وكانت بطاقات المتاجر مازالت معلقة بها، فأزالتها.

كانت هناك ادراج مليئة بثياب داخلية حريرية رائعة الجمال، وبقياسات مختلفة، وهكذا لم تجد أي مشكلة في العثور على ما يناسبها، رغم الحيرة التي تملكتها وهي تجد مثل هذه الأشياء في منزل رجل أرمل، ولكن ربما له شقيقة... وكان في هذه الاحتمالات اجهاد لذهنها أكثر مما اعترفت به لنفسها.

بعد ان امضت فترة في الحمام المعطر برائحة الورد، ارتدت ملابس جميلة وقد تملكها شعور جارية تعد نفسها لإرضاء سيدها، وعنفت نفسها لتركها تصوراتها تصل إلى هذا الحد، فهي سجينة هنا ولو كان ذلك في قفص ذهبي، ولكن بشكل ما، لم تكن هذه الفكرة سيئة كما يجب ان تكون.

كانت تسرح شعرها عندما سمعت نقراً على الباب، وكانت هذه السيدة كيمبر مديرة المنزل التي قالت وهي تحمل حوائجها: «لقد احضرت لك اشياءك من بيت الضيافة.»

وإذ رأت ملابسها مكوية وحذاءها ملمّعاً، تملكها شعور بالذنب، ما الذي يا ترى ظنته بها مديرة المنزل بعد ان رأت

ملابسها متناثرة على أرض الغرفة؟ وقالت لها: «شكراً، بالمناسبة، هل انت من اختار تلك الملابس الجميلة في غرفة الملابس؟»

فهزت المرأة رأسها نفياً: «كلا، بل السيدة فليمنغ شقيقة السيد ثورن، انها مصممة أزياء.»

لا عجب إذن في كون الملابس بهذا الاتقان ورهافة الحس، لطالما اعجبت جيل بتصاميم أزياء كيرستي فليمنغ في المجلات دون ان تدرك انها شقيقة ميداس ثورن، كان المخزون لديها من المعلومات عنه يزداد على الدوام، حتى وهي تؤكد لمديرة المنزل ان لديها كل ما تحتاجه، كان ذهنها يعمل بسرعة، لو انها فقط أفلحت في تمثيلها هذه الأيام القلائل، دور صديقة ميداس، فان الريبورتاج سيكون مثيراً للغاية.

وجدت طريقها إلى غرفة الطعام بالجهد والخطأ، وكان ميداس وشركاؤه ينتظرونها، وعندما تقدمت نحوهم، همدت احاديثهم ليحل مكانها نظرات الفضول.

مد يده اليها رجل طويل القامة عريض الكتفين ذو شعر اشقر قصير، قائلاً: «الآنسة كايسي؟ كان ميداس يحدثنا عنك، انني جير هاردت مولر.»

فمدت إليه يدها بدورها تصافحه، ومن لكنته، عرفت فيه الرجل الذي كان يرحب (بعودة ميداس إلى عالم الرجال) ما الذي كان يعنيه بذلك يا ترى؟

لم يكن هناك وقت للتساؤل عن معنى ذلك... فقد وقف ميداس بينها وبين مولر حيث اخذ يقدمها إلى بقية شركائه، كان هناك السيد ياماموتو من اليابان وروبرت وايا من فيجي، فحيتهما بسرور، وسمحت لميداس بأن

يجلسها إلى يمينه على المائدة اثناء العشاء، كان الحديث يدور حولها عن شؤون العمل الدولية، ومن آن لآخر ونزولاً عند رغبتها، كانت المواضيع تتغير ولكن دون ان تخرج عن طبيعتها العملية، وشعرت باستياء من ميداس لإصراره عليها بالانضمام اليهم.

وعندما وصلوا إلى مرحلة تناول القهوة، كانت قد شعرت بالانهاك، ولحسن الحظ اعتذر الضيوف وانسحبوا باكراً حيث انهم قد وصلوا من بلادهم المختلفة هذا الصباح فقط.

سألها ميداس باهتمام بالغ: «هل نذهب نحن أيضاً إلى النوم مبكراً يا حبيبتي؟»

احمر وجهها وأخذت تصرف بأسنانها، ولكنها جعلت نفسها تقول بسرور: «طبعاً، يا حبيبي.»

بدت وكأنها مرغمة على هذا القول إلى حد لا بد ان الآخرين قد لاحظوه، ولكنهم تبادلوا نظرات الحسد لميداس وهم يتبادلون تحية المساء.

قال لها ميداس بصوت منخفض وهو يرافقها إلى غرفتها: «عليك ان تقومي بالعمل بشكل افضل.» وخارج بابها، استدارت اليه قائلة: «هذا شيء صعب حين اعلم كم تكرهني.»

فتح لها الباب وهو يقول: «ان ما اكرهه هو وظيفتك وليس انت.»

فنظرت اليه بازدراء: «انك لست بحاجة إلى التظاهر بشيء لا تشعر به، وأنا سأحسن من ادائي دون أي تشجيع زائف منك.»

«طبعاً.» وتألقت عيناه سخرية كانت على الأقل رغم ايلامها، قابلة للتصديق، وإذ كانت متشوقة للإنفراد بنفسها، دخلت من الباب الذي لم يكن مفتوحاً تماماً.

ولكنها ذهلت وهي تراه يتبعها، مغلقاً الباب خلفه.

سألته: «ما هذا الذي تفعله.»

«انني داخل إلى غرفتي، كما ترين.»

«ولكن هذه غرفتي انا.» وتذكرت الملابس الرجالية المعلقة في غرفة الملابس، وهزت رأسها بعنف: «كلا، لا أوافق على أن تسير بالمسرحية إلى هذا الحد، انني مصرة على ان تكون لي غرفة خاصة.»

فقال ببرودة: «ان وضعك لا يسمح لك بالإصرار على شيء، تذكري هذا، فأنت ستفعلين كل ما أراه انا ضرورياً لحسن تنفيذ دورك في الاتفاقية.»

فحملقت فيه: «هذا لا يتضمن النوم في غرفة واحدة، لا أراك تخبرني ان نجاح مشروعك يتوقف على رؤية شركائك لنا نتشارك غرفة واحدة.»

فقال: «ان ظنهم لا يعنيني مثقال ذرة، ولكن هذا ينقذني من شرح أمري لأي شخص، هذا إلى ان الوقت قد حان لكي تعلمي انني إذا أردت القيام بشيء، فانني أقوم به بشكل كامل.»

كامل إلى أي حد؟ اخذت تتساءل عن ذلك وخفقات قلبها تتسارع.

قالت مستنكرة: «انني على كل حال، لم اتعود ان أنام في نفس الغرفة مع ابطال المواضيع التي اكتبها.»

«لقد فعلت ذلك مرة.»

قال ذلك بشكل واقعي بحيث تطلب الأمر لحظات لكي تستوعب قوله، لا بد انه سأل عنها وذلك منذ عرف حقيقتها، فقالت له: «بعد ان كتبت عن تيري كايسي تزوجته.»

«هذه طريقتك في العمل إذن.»

فقالت بحدة: «ماذ تعني؟»

تابع يقول: «انك تستغلين خدماتك وجمالك لمنفعتك. حسناً، هذا لن ينجح معي، فليس في نيتي ان اعرض عليك الزواج، وإنما اشاركك الغرفة لخدمة اغراضي فقط.»

وسار مجتازاً الحمام إلى الباب الثالث ففتحه، ووجدت نفسها تنظر إلى غرفة جلوس مريحة للغاية وقد اثثت برفوف مليئة بالكتب وسرير نهاري منجد بالقطيفة.

وشعرت بحماقتها، فهنا كان ينوي ان ينام منذ البداية، بينما يجعلها تحاول الدفاع عن شرفها. كبتت غيظها وسألته: «هل ستكون مرتاحاً هناك؟»

فهز كتفيه: «انها مسألة عدة ايام فقط، فقد تحملت أوضاعاً أكثر خشونة هناك في بلدي تسمانيا.»

فثار فضولها وسألته: «لقد كنت فقيراً في طفولتك، أليس كذلك؟» وكانت قد عرفت هذه المعلومات من ملفات الصحف.

فأومأ قائلاً: «كنا فقراء للغاية، وقد ولدت في مخيم للتحطيب، ولكن أسرتي كانت غنية بكل شيء ذي أهمية... اشياء كالمحبة والثقة، ومازالت قرابتنا حميمة إلى حد بالغ.»

سرت في نفسها الغيرة، ذلك ان والديها بعد انفصالهما، اخذا يتجانبانها كل إلى جهته وكأنها دمية في خيط، اما الحب والثقة فقد كانت في أسرتها مجرد مكافأة، وسألته: «انك اشتريت المدينة التي كانت مسقط رأسك، أليس كذلك؟» وتذكرت انها تضم الأثر الباقي لتلك البيوت، ويديرها والداه بصفتها مقصد للسواح. وهما مخلصان لابنهما ميداس بشكل عنيف بحيث يرفضان بيع اسرار الأسرة للصحافة،

رغم المبالغ الباهظة التي كانت تدفع لهما لذلك. ويبدو ان المحبة والثقة هما السائدان في المكان الذي جاء منه.

بدرت من ميداس حركة تدل على نفاد الصبر وقال: «هناك وقت كافٍ للمقابلة، فقد تعبت جداً هذا النهار.»

كان يظنها تنقب في خلفياته لأجل الريبورتاج وشعرت لذلك بالتعاسة، ألم يفكر في انها ربما تريد ان تعرف عنه هذه الأشياء لأجل نفسها فقط؟ وقالت له باستياء: «انني لم اكن افكر في الريبورتاج.»

فرفع حاجبه: «أليس اهتمامك نابعاً فقط من مصلحتك الشخصية؟ ألا تمنعك مبادىء مهنة الصحافة من النظر إليّ بصفتي انساناً من البشر؟»

«اذهب إلى الجحيم.»

فقال بشهامة ساخرة: «تتفضلين انت أولاً، يا سيدتي وانا من بعدك.»

تشابكت اعينهما لحظة بدأ اثناءها العالم يدور حولهما، وقد توقفت منهما الأنفاس.

خطا نحوها خطوة... فخفق قلبها، كلا انها لن تسمح له بأن يتمادى معها... ومع ذلك لم تستطع ان تحول عينيها عنه.

ثم انتهى كل هذا عندما تنفس ميداس بعمق وعيناه تنطقان بالإزدراء قبل ان يغض من بصره وهو يقول: «ألا تريدين ان تتصلي بابنتك؟ انها سبب وجودك هنا، على كل حال.»

«ان جورجينا بالنسبة إليّ اهم من أي شيء آخر في العالم، أي شيء.»

«اتصلي بها إذن، أليس لديك مانع إذا انا استعملت الحمام أولاً؟؟»

«هذا ليس بيتي لكي امانع في ما تريد ان تفعله فيه.»

ألقى عليها نظرة متأملة، ولم يقل شيئاً، وبينما كانت تدير ارقام هاتف منزل تيري في سيدني، كان ميداس قد اقفل عليه باب الحمام.

بعد دقائق من ثرثرة جورجينا الطفولية، شعرت جيل بتوازنها يرتد اليها، علمت سبب وجودها هنا وما الذي تريد إنجازه، أما انجذابها إلى ميداس فما هو الا احساس طبيعي يتملك كل امرأة صحيحة الجسم نحو رجل وسيم نشيط، ولا شيء اكثر من ذلك.

ولكن هذه الثقة بالنفس لم تفلح في إبعاده عن ذهنها لكي تستطيع النوم، وبقيت صورته تحتل افكارها حتى بعد وقت طويل من خروجه من الحمام واغلاق باب غرفته عليه، وعندما استسلمت هي إلى الرقاد، كان الفجر قد بزغ تقريباً.

الفصل الخامس

عشقت جيل وجودها في فينسيرو عند الصباح عندما يغطي الضباب المياه كالصوف الناعم فتبدو الجزيرة فيه وكأنها ناهضة من العدم، وعندما تعلو الشمس في قبة السماء يزداد تألق النهر، وسرعان ما يصبح الجو من الدفء، بحيث يناسب اخذ حمام شمس عند البحيرة.

لم تشأ العودة إلى ارتداء ثوب السباحة المعدني اللون والذي كانت ارتدته عندما قامت بتمثيل صديقة ميداس أول مرة، ولكنها عندما جربت غيره عادت إليه بصفته افضل الموجود، كان ضيقاً عليها، ولكن لم يكن هناك من يراها، فقد كان ميداس وشركاؤه في الداخل، مستغرقين في الحديث عن العمل وهو الذي شغلهم منذ وصولهم.

سقط ظل على صفحة الرواية التي كانت تقرأها، وعندما رفعت بصرها رأت الضيف الالماني جيرهاردت مولر يحوم فوقها، وكان يرتدي شورت سباحة وقميصاً ملوناً مفتوحاً من الأمام، كانت هي المرة الأولى التي تراه فيها مرتدياً ملابس غير رسمية، فتملكتها الدهشة، «مرحباً يا سيد مولر، هل انتهى الاجتماع؟»

«اسمي جيرهاردت، لا تنسي، ثم نعم لقد انتهى الاجتماع، وهذا النهار أروع من ان يمضيه المرء بين الجدران.»

فقالت: «وهذا سبب حضوري إلى هنا.» ونظرت حولها فلم تر أثراً للآخرين: «هل ستسبح؟»

«نعم، نعم، ولكنني أريد ان اعرض جسمي أولاً لأشعة الشمس، وامتع بصري بهذه المناظر البديعة حولي.» كان يتحدث عن النهر، ولكن عينيه كانتا مسمرتين عليها، وبحركة طبيعية نشرت كتابها على صدرها ما بعث إلى شفتي جيرهاردت ابتسامة جافة.

وسألته: «هل سينضم الينا ميداس؟»

«لو كنت انا مكانه لجئت بكل تأكيد.»

كان الرجل الالماني يحول كلامه إلى إطراء لها وكان يتابع قائلاً: «لم يكن هذا الأسبوع يسمح لك بالمرح، بسبب اجتماعاتنا الدائمة نحن الأربعة؟»

جعلها ولاء شعرت به نحو ميداس فجأة، تقول: «كلا، على الاطلاق، وكيف يمكنني ان لا اشعر بالسعادة في جزيرة مثل فينسيرو؟»

ولكنها لم تكن سعيدة، فقد أمضت الأيام القليلة الماضية تكتب قصة للأطفال هي أول قصة لها، وإذ كانت مستوحاة من اتصالها كل ليلة بجورجينا، فهي تتحدث عن فتاة صغيرة وكيف تمكنت من ان تتعامل مع الصبيان المتسلطين في مدرستها، وكانت القصة تحتوي أيضاً على افكار قد يكون فيها ما يساعد بقية الأطفال على مواجهة الأمور الصعبة.

لقد كان ميداس أدهشها حين كانت تكتب هذه القصة، فقد أراد ان يعرف ما يشغلها خلاف كتابة الريبورتاج، وعندما أرته أياها بخجل، تملكها الذهول عندما قال: «انها جيدة جداً، ان لديك موهبة حقيقية.»

«اتظن ذلك؟»

«ان من الصفات الضرورية في ذوي المناصب الكبرى هو التمكن من ملاحظة المواهب وتنميتها.»

فقالت ضاحكة: «لا أدري ان كان لديّ موهبة أم لا، ولكن مسألة التنمية سهلة في مكان كهذا، ان فينسيرو فردوس حقيقي.»

فقال: «كان فردوساً ضائعاً حين رأيته لأول مرة، كان المنزل قد اقيم سنة ١٨٤٠ للقاضي المحلي، وفي أقبيته مازال هناك السلاسل والأصفاد المتصلة بالجدران المصنوعة من الحجر الرملي، ولكنه كان مهجوراً منذ سنين.»

وإذ تذكرت ان ليس ثمة مواصلات لهذه الجزيرة سوى الزوارق البخارية وطائرات مروحية تملكتها الرهبة فسألته: «وكيف استطعت احضار كل مواد البناء إلى هنا؟»

«بنفس الطريقة التي أتى بها المكتشفون الأوائل، بالسفن، اصعب مرحلة كانت عند حفر البحيرة في الصخور، كان على ذلك ان يحفر باليد، لتجنب الإضرار بالغابات وحيواناتها البرية.»

فقالت: «لا عجب في ان لفينسيرو مكانة خاصة في نفسك، فقد وضعت في بنائها الكثير من ذاتك.»

نظر إليها برقة وهو يقول: «اعتقد ان الانسان يفوز من الحياة بقدر ما يضع فيها.»

متى تغير الجو بينهما من الصداقة العادية إلى شيء اكثر حميمية؟ كان ذلك أشبه بالخطو من ضفة رملية ليجد المرء نفسه في مياه عميقة، وقالت متلعثمة: «إنها فلسفة جيدة، كما أرى.» وكانت عيناه تحدقان في عينيها، وإذ أحست

بالخطر، قالت بسرعة: «اننا في الصحافة، نقول: ليس هناك شيء اسمه غداء مجاني.»

وإذ نكرت مهنتها، تلاشت الرقة من عينيه وتوترت شفتاه: «تماماً، ولا شك انك ستنقلينه عني في مقالتك.»

«اظن ذلك.» كانت تعلم تماماً ان هذا الانتقال المفاجيء من الدفء إلى البرودة سببه التحدث عن مهنتها، رغم انها لم تفكر في مقالتها منذ ايام واهتمامها بتاريخ فينسيرو كان حقيقياً، رغم إدراكها ان ميداس لن يصدق ذلك، وبجانب ذلك عليها ان تبدأ كتابة المقالة في أسرع وقت ممكن، وذلك قبل ان تبدأ بتصديق انها فعلاً صديقة ميداس، وليس عليها ما تقوم به سوى استعراض زينتها.

كان جيرهاردت يخاطبها فعادت بأفكارها مرة أخرى إلى ضفاف البحيرة، فالاستغراق في احلام اليقظة هي عادة أخرى سيئة قد اكتسبتها منذ مجيئها إلى هنا.

همهمت تجيبه، راجية ان يكون في ذلك جواب مناسب لسؤال جير هاردت الذي لم تسمعه، ولكنه قال لها: «هل معنى هذه الهمهمة نعم، ام لا؟»

فابتسمت له معتذرة: «لا أدري، ماذا كان سؤالك؟»

فقال متأملاً: «لماذا أرى ان ثمة عقلاً نيّراً داخل رأسك الجميل هذا؟ ان ادعاءك بأنك لم تسمعيني ادعوك إلى بيتي هي طريقة ماهرة لتجنب جرح كرامة الاثنين، انا والمحسن اليك.»

إذن فهذا هو سؤاله، فقالت باخلاص: «من المؤكد انني لا اريد جرح كرامتك، ولكن المانيا بعيدة جداً.»

فهز رأسه قائلاً: «كنت افكر وانا ادعوك، في ضاحية

بيلفو هيل هنا وليس في بون، ان لديّ بيتين في المكانين.»

عندما ذكر اسم تلك الضاحية المترفة، تملكها الخوف، كان يتودد إليها، واذا كان جيرهاردت قد تملكه انطباع بأن من الممكن ان تترك ميداس وتأتي اليه، فهذا معناه انها لم تتقن تمثيل دورها كما يجب.

فقالت بحزم: «لا اظن هذا سيسر ميداس.»

فقال وقد بدا عليه عدم التصديق: «اتفضلين ان تكوني وحيدة هنا معه؟»

من الغريب انها كانت فعلاً كذلك، حقاً ان جيرهاردت سيدللها بإفراط، فلا يتركها وحدها كما يظن ذلك بميداس، ولكن لو انها حقاً صديقة ميداس لبقيت على تفضيله على جيرهاردت، صحيح انها لا ترى ميداس كثيراً، في الأماسي فقط، ولكنها لم تكن لتهتم، فلديها ما يشغلها، فهي لا تريد ان تصرف وقتها باللهو كالأطفال.

بدلاً من أن تكره النشاطات العملية التي كانت تدور حولها، اصبحت فضولية، ما هو المشروع الذي يشترك فيه اناس من شخصيات مختلفة الهويات، من الاخبار المتفرقة التي كانت التقطتها، علمت ان جيرهاردت كان هو المموّل، لم تعرف شيئاً عن ياماموتو رغم افتراضها انه يساند المشروع تقنياً، فقد كانت سمعت ميداس يتحدث معه باللغة اليابانية، واستنتجت انه لا يعرف الانكليزية جيداً، اما روبرت، وهو الفيجي، فقد كانت شخصيته اكثر تحدياً، فقد كانت تعلم ان تعدين الذهب هو احد صناعات فيجي الرئيسية، وتكهنت بان هذا ما جاء لأجله.

قهقه جيرهاردت ضاحكاً: «ان التعبير الذي يكسو ملامحك هزلي للغاية، وكأن هناك شيئاً تريدين ان تسأليه، ولكنك لا تجرؤين، لماذا لا تجربينني؟»

صحيح، لماذا لا تجربه؟ «كنت اتساءل عما عسى ان يكون المشروع الذي احضرك والآخرين إلى فينسيرو؟»

اغاظتها ابتسامته المتسامحة وهو يقول: «اظن ان ميداس لا يريد ازعاجك بمثل هذه الأمور.»

تصاعد غضبها واحمر وجهها: «أرجوك ان لا تتعالى عليّ، أريدك ان تعلم انني...» وسكتت شاعرة بالبرودة بعد إذ أدركت انها كانت على وشك ان تكشف سرها.

«ماذا كنت تقولين؟»

«كنت اقول انني ماهرة أنا أيضاً في الأعمال التجارية.»

فقال: «انني اعرفك في غاية الكفاءة، ولكن من الإثم ان نبدد طاقاتك في غرفة الاجتماعات بينما يمكنك رفع شأن مكان آخر.»

وألقى عليها نظرات مليئة بالرغبة ما سبب لها الذعر، ماذا سيظن ميداس بشريكه الآن؟ ام ان اعتيادهما على تقاسم أرباح شركتهما قد امتد إلى شؤونهما الخاصة كذلك؟

تبددت شكوكها عندما ظهر ميداس عند ضفاف البحيرة وإزاء نظراته المتفحصة، قفز جيرهاردت مبتعداً عنها وكأنما لسعته افعى ولكنه تمالك نفسه بسرعة: «ان صديقتك الفاتنة مهتمة بأعمالنا.» مظهراً بذلك انها هي المسؤولة عن هذا المشهد، وادركت من عبوس ميداس انه ظن ذلك هو أيضاً، ولكنه تصرف بمظهر الحبيب حين استلقى على

كرسي بجانبها، وشعرت بالسرور يتملكها وهي تراه بجانبها، كان ميداس مثل جيرهاردت يرتدي ثياباً غير رسمية هي قميص ذو لون أزرق اللون وبنطلون جينز.

قالت بلهجة لاذعة: «لا حاجة بك للقلق، فأنا لم اعرف الكثير، فقد كان في ذهن جيرهاردت اشياء أخرى.»

«لا شك في ذلك.»

نهض جيرهاردت واقفاً بسرعة وهو يقول: «سأترككما بمفردكما.» وتوارى داخلاً المنزل وقد نسي رغبته في السباحة.

وتوارت معه مظاهر الحب من جانب ميداس وهو يقبض على معصمها بيد كالفولاذ: «والآن أي عمل ماكر تقومين به إذ تغازلين مولر؟ هل كنت تحاولين استخلاص معلومات منه لأجل مقالتك؟»

اصبح تنفسها متقطعاً، فقد جعلها شعورها بالظلم تريد ان تصرخ، وسألته: «ألم يخطر ببالك انه ربما هو الذي كان يغازلني؟»

«ألم تشجعيه على ذلك؟»

«كنت على وشك منعه حين جئت انت.»

تبدد بعض الغضب من ملامح ميداس وبدا عليه التفكير: «لقد كان فعلاً يحوم حولك، ربما عليّ ان اتحدث إليه في ذلك.»

«كلا، ان كلمتي عنه تكفي، فأنا لا أريد ان أسبب أي مشاكل.»

لقد كرهت ان تتسبب في تدمير علاقات عملية هامة بينهما، خصوصاً وان الأمر لم يكن لأن ميداس كان حقاً

يريد ان يدافع عن شرفها، فقد كان كل ما يهمه من ذلك هو مجرد المحافظة على المظاهر، رغم اعترافها لنفسها بأنه يقوم بدوره بإتقان غير عادي.

وانهت كلامها قائلة: «لا أحب التسبب في أية مشاكل.»

نظر إليها بحدة: «اظن هنالك بداية لكل شيء.»

شعرت بأنها مدفوعة للدفاع عن نفسها: «لم اكن احاول ان احصل على معلومات من جيرهاردت، اذا شئت ان تعلم، فهو قد تشكك في صدق علاقتنا.»

«إذن، علينا ان نجتهد في إقناعه.» ومال عليها بشكل حميم فابتعدت عنه، ما هذا؟ ولماذا هذه الأحاسيس التي تملكتها بينما هي تعلم انه لا يفعل ذلك إلا لينكرها باتفاقهما؟

انها طبعاً لا تريد ان تكون علاقتهما حقيقية... وانما كل ما تريده هو مقالتها عنه، كما ان مبررات ميداس تماثل مبرراتها هدوءاً وواقعية، وهكذا لا مجال هناك لتوهم اشياء أخرى، وان اتهامه لها بمحاولة استخلاص معلومات من جيرهاردت هو ابلغ دليل على احتقاره لها، وفجأة، انتبهت إلى ان التعب يبدو عليه، والهالات الداكنة حول عينيه جعلته يبدو اكثر خشونة من العادة رغم انه ما زال وسيماً، لا شك ان ما يقوم به من عمل هو مرهق للغاية، وسألته: «هل يسير المؤتمر بشكل حسن؟»

فأسر اليها يقول: «انه يتحول إلى مؤتمر دولي اكثر منه مؤتمر عمل، إذ عدا ما عليّ ان اقوم به من معالجة الأمور المالية، عليّ ان اوازن بين مصالح فيجي، ومصالح المانيا واليابان.»

فقالت: «ان طيارك من فيجي، ولا بد ان بإمكانه ان

يساعدك.» قالت ذلك متوقعة ان دانييل لا شك قد سره وجود شخص من بلاده هنا رغم انه عندما احضر لها حاجياتها التي كانت دونتها على قائمة، بدا عليه الغضب عندما ذكرت له اسم روبرت وايا فترك لها ما احضره ثم خرج.

قال لها ميداس: «ان دانييل هندي الأصل، وهناك توتر كبير بين قومه والفيجيين الاصليين.»

«هذا بينما روبرت وايا هو فيجي أصيل، ان هذا يفسر عدم انسجامهما معاً.»

فأومأ قائلاً: «لقد ابعدتهما عن بعضهما البعض قدر استطاعتي، ان دانييل طيار لامع، ولكن وجهة نظره السياسية لا يسمح لها بالتدخل حين يكون المستقبل والأعمال تحت الخطر.»

كانت اعباؤه اكثر مما تصورت فتملكها شعور من العطف عليه، فقالت: «لا بد ان هناك كثيراً من الأمور تحت الخطر.»

فقال وهو ينهض: «هذا صحيح، ربما حان الوقت لكي تعلمي بالدقة عن كل ذلك، اتريدين تلك المقابلة التي وعدتك بها؟»

فنظرت اليه بحذر: «الآن؟»

«لقد اخذنا فرصة الغداء، ياما موتو يرتاح في غرفته، وروبرت يرسل رسائل بالفاكس إلى حكومته، ونحن الاثنان نعلم ما يفعله جيرهاردت.»

احمر وجهها عندما فكرت في ما يريد جيرهاردت ان يفعل فنهضت واقفة وهي تقول: «سأذهب واستعد لذلك.»

«اننا سنذهب معاً، هنالك شريط تسجيل في جناحنا، وبإمكاننا كذلك ان نسجل المقابلة هناك.»

فقالت دون وعي: «ولكن إذا دخلنا الآن، كل شخص سيظن اننا...» ولم تستطع ان تكمل ما تفكر فيه.

فقالت يكمل كلامها: «بالضبط، انهم سيظنون ما تفكرين فيه، وهذا افضل من ان يكتشفوا انك صحافية ولست صديقتي.»

رأت الحق معه رغم شعورها بالإذلال، إذا كان ذلك يعني حصولها على قصته، وبالتالي الحظ في استعادة ابنتها عليها ان تكون مسرورة لحيلته هذه، ولكنها بدلاً من ذلك، شعرت بنفسها مخدوعة، اترى جزءاً منها يريد ان يكون هذا التظاهر بينهما حقيقة؟ ان اسلوب التمثيل هذا هو خطر إذا هي ابتدأت تصدق تمثيلها هذا.

حتى الآن كانت قد تآلفت مع الجناح الذي يقيمان فيه، فعدا عن انهما ينامان كل في غرفة منفصلة، فقد كانا وكأنهما زوجان كانا يدخلان الحمام بالتناوب، ينتظر الواحد منهما الآخر بتهذيب مبالغ فيه، وقد تعودا على ان يتركا اشياءهما الشخصية ملقاة هنا وهنا، ولم تعد تشعر بالحرج وهي ترى ملابس ميداس معلقة خلف باب الحمام، أو محلول بعد الحلاقة على حافة الحوض، كانت لديه عادة ترك الزجاجة مفتوحة، فرفعتها مرة إلى انفها تتشممها بلهفة وهي ترى فيها رائحته المعتادة، وعندما انتبهت إلى ما كان تفعله، اسرعت تدس الزجاجة في الخزانة.

أخذت تلوم الزمن للهفتها هذه، فهي قد تعودت على ان تكون زوجة وليس امرأة عازبة، صحيح ان زواجها من تيري كان غلطة، ولكن السنوات الطويلة التي أمضتها معه كانت دليلاً على انها لا تستطيع العيش دون رجل في

حياتها، ليس أي رجل، بالطبع، ولكن ذلك الذي بإمكانها ان تحبه من كل قلبها، ووجود ميداس معها اشعرها بالارتياح، ورغم ان علاقتهما كانت مجرد تخيلات فقد كانت هذه هي الحياة كما تريدها ان تكون.

اغلق ميداس الباب خلفهما، ثم قال لها: «غيري انت ملابسك ريثما اثبت انا المسجل.»

أشاحت بوجهها بشكل غاضب، انهما بعيدان عن الأنظار الآن، وبالتالي ليس له الحق في ان يصدر اليها أوامره، وتملكها الإغراء في ان تتجاهل ما طلبه منها وتجري المقابلة معه مرتدية ثوب السباحة، ولكنها شعرت ببعض التوتر فيه ما انذرها بأن لا تبالغ في تجربته، لقد كان من السهل عليها في المدة الأخيرة، ان تنسى انها هنا لقضاء مهمة، غير قادرة على تسجيل ملاحظات أو القيام بكل ما يمكن ان يفضح هويتها، لقد نسيت تقريباً مبلغ كراهية ميداس لما فعلته.

والآن قد انتهت اللعبة ولديها عمل عليها ان تقوم به.

ولكن علاقتهما الخيالية كانت سارة وممتعة إلى حد كانت العودة معه إلى الواقع بمثابة صدمة لها.

وبأصابع مرتجفة، ارتدت معطفاً منزلياً فوق ثوبها، وقد تملكتها الخشية من ان تعيق ميداس عن العمل الذي اصبح الآن مستعداً له، كل ما كانت تتمناه هو ان يكف عن التحديق اليها وكأنه يراها لأول مرة، فالمرأة والصحافية هما شخص واحد، وأرادت ان تصرخ، كيف بإمكانه ان يكون في منتهى اللطف والرقة مع واحدة، وكارهاً بمرارة للأخرى؟

كان ميداس قد وضع المسجل على منضدة منخفضة

مقابل السرير النهاري الذي ينام عليه، وكانت مديرة المنزل تعيد تنظيمه كل صباح إلى شكل أريكة، وكانت جيل تتساءل عما عسى ان تظن مديرة المنزل في هذا الوضع، فهي لا تفصح عن أي شعور.

جلست جيل بجانبه على الأريكة، حيث لم يكن في الغرفة كرسي آخر، وامامهما المسجل، وبجهد سألته مبتدئة المقابلة: «سنبدأ الحديث عن خلفيات حياتك، كيف تمكنت من الوصول إلى حيث انت اليوم؟» وجاء صوتها أبح يدعو إلى الضيق، فتنحنحت لكي تجلوه.

اجاب ببطء: «احقاً؟ وهل هناك شخص يهتم بتاريخي القديم؟»

«انه انا... اعني القراء، يريدون ان يعرفوا ما وراء عصامي كبير مثل ميداس ثورن، فذلك يجعلهم يشعرون وكأنهم يعرفونك.»

فقال بنفس اللهجة: «لست واثقاً من انني أريد كل ذلك العدد من الأصدقاء.» وبدا عليه وكأنه يريد ان ينهي هذه المقابلة في هذه اللحظة، وكانت عضلاته متجمعة وملامحه متوترة وكأنه يستعد لقتال، ما ذكرها بنمر رأته في حديقة الحيوانات، وقد كبح قوته الهائلة بجهد بالغ. لكي تشجعه على الإسترخاء خفضت صوتها إلى حد التمتمة وهي تسأله عن أول مهنة له، كانت تعلم انه ترك جزيرة تسمانيا وهو في السادسة عشرة، واشتغل في مدن المناجم المنعزلة، حيث اخذ يتعلم في كل لحظة فراغ إلى ان حقق حلمه في ان يصبح مهندس مناجم، ثم ذهب إلى مدينة بيرت حيث أنشأ مؤسسة ومن ثم ابتدأ بشراء حق السيطرة على شركات

التنقيب الخاص إلى ان اصبح بعد عقد من الزمان، مسيطراً على أمبراطورية متواضعة للتعدين.

وكان ان اكتشفت احدى شركات التنقيب والواقعة تحت سيطرته، منجماً للترسبات الماسية فكان الاساس لثروته الحالية، قالت محاولة تشجيعه ليقول المزيد: «هذا شيء مثير للغاية.»

فقلب شفتيه: «لا شيء جديداً في هذا، ولا أدري كيف يمكنك ان تربحي شيئاً من وراء هذه القصة.»

ولا هي تدري إذا هو تمسك بالوقائع المجردة، فمعظم ما اخبرها به كان بإمكانها ان تجمعه من المجلات الاقتصادية الصادرة منذ سنوات.

قالت: «انني في الواقع اريد ان اتعرف إلى الرجل الانسان خلف هذه القصة ما الذي جعلك حليف النجاح إلى هذا الحد؟»

مضت لحظة ظنت فيها انه لن يجيب، ولكن سؤالها استولى على اهتمامه، إذ قال بعد لحظة تفكير: «الرغبة في السلطة.»

تملكتها قشعريرة من خيبة الأمل، أتراه يسعى إلى السلطة لذاتها؟»

قالت له: «هل لك ان تشرح ذلك؟»

نظر اليها طويلاً قبل ان يقول: «لو انك كنت من الفقر كما كان اهلي، لشعرت بالضعف والهوان، ولهذا طلبت السلطة لكي اتمكن من السيطرة على حياتي، والنجاح يعطيك هذه السلطة.»

مع انها حدثت نفسها بأن دوافعه سواء كانت صافية ام

غير ذلك، لا شأن لها هي بها، تملكها شعور بالارتياح، فلو قال بأنه يطلب السلطة لذاتها، لأصيبت بخيبة أمل، ومرت بنظرها على ما كتبت، ثم قالت: «لقد وصلت إلى هدفك بكل تأكيد، مناجم الماس، مزارع الماشية، هل هناك شيء لا يمكنك الحصول عليه؟»

ضاقت عيناه وتقبضت يداه بعنف: «هل انت من دون كل الناس، توجهين إليّ هذا السؤال؟»

كان يفكر في خسارته فندمت لعدم تبصرها، وقالت برقة: «انني آسفة، لم اكن اقصد إثارة شجونك.»

بدا عليه الندم لخشونته، فقال: «انسي ذلك، فلا يمكننا التحدث عن حياتي الشخصية دون ان نذكر انه كان لي زوجة وطفل.»

أومأت وهي تحني رأسها، شاعرة بغصة في حلقها، ثم غامرت بهذا السؤال: «لا بد ان زوجتك كانت فخوراً بنجاحك، علمت انكما تزوجتما قبل ان تنجز كل هذا، هل كان لنجاحك هذا تأثير على علاقتكما.»

فقال باختصار: «كنا سعيدين من البداية حتى النهاية.»

كان غضبه واضحاً تقريباً، فقالت تطمئنه: «لم يكن في نيتي ان اقول شيئاً آخر.»

فالتهبت نظراته: «آه، كلا؟ انك متلهفة إلى ان تريني اعترف بأنها لم تستطع ان تواجه طريقة حياتنا الجديدة، أليس كذلك؟ ثم بإمكانك ان تكتبي انها عانت وقتاً عصيباً اثناء ولادتها للطفل، ان هذا سيعجب الصحافة جداً، أليس كذلك؟»

فقالت: «لم افكر في شيء كهذا أبداً.» ولم تكن فكرت قط

في امكانية ذلك. وإذا كان هو قد فكر في ذلك فهذا يفسر عنف ردة الفعل لديه إزاء هذا السؤال البريء، فصحافي خشن كان سيلاحق هذا الموضوع، كانت تعلم ذلك، ولكن قلبها لم يكن يسمح لها بهذا، وتنهدت انها لن تفوز قط بالمكافأة على عملها اذا استمر هذا الحال.

رد على تنهدها هذا بقوله: «لقد عاهدت نفسي بأنني لن اقطع رأسك لقيامك بوظيفتك ولكن ها انذا افعل ذلك، فلنجرب سؤالاً آخر.»

«انني اعلم ان الحديث عن نفسك لا بد ان يكون صعباً.»

«يمكنني مواجهة الأسئلة.» قال ذلك وفي عينيه لمعان غريب، ما الذي يعنيه؟ مادامت الأسئلة ليست هي سبب توتره الواضح، فما السبب إذن؟

وعندما اخذ ميداس يتحدث عن المشروع الذي كان يقوده بالاشتراك مع شركائه الدوليين، أدركت ان عليها ان تشعر بالامتياز لثقته بها سألته: «هل تصنع الماس؟»

فأجاب: «الماس الصناعي للاستعمال في صناعة التعدين، ان شركائي قد ابتكروا طريقة لتصنيع الماس من الكربون أرخص كثيراً وأسرع مما كان يصنع من قبل، هذه الطريقة ستساوي الملايين بالنسبة إلى شركات التعدين التي لن يكون عليها، بعد الآن صرف الاعتمادات المالية لاستبدال أجهزة الحفر البالية، كما ان الماس غير المصقول يمكن استعماله كذلك في صناعة العدسات الطبية وفي صقل بقية حجارة الماس.»

كانت تستمع إلى شرحه في تصنيع الماس دون ان تفهم شيئاً، كان يبدو وكأنها بحاجة إلى شهادة في الفيزياء لكي

تفهم تماماً، ومن حسن حظها انها كانت تسجل ذلك على شريط، ما يمكنها من سماعها مجدداً فيما بعد.

سألته عندما انتهى: «ألست مهتماً فيما لو نشرت انا هذه المقالة قبل ان تكون مستعداً؟»

فهز رأسه: «في الوقت الذي تغادرين فيه هذه الجزيرة، سيكون عالم المال قد علم بذلك، وهكذا لن يمكنك التسبب بأي ضرر، وهذا سيوفر عليك عناء استخلاص التفاصيل من الآخرين.»

قالت له وقد اغرورقت عيناها بالدموع: «ألا تفكر بي قليلاً؟»

«ليس عندما تكون الملايين في خطر، وكذلك اعداد لا تحصى من وظائف العمال ومستقبلهم.»

انه مازال لا يثق بها، وخنقتها غصة وهي تجمع اشياءها تنهي بذلك المقابلة.

الفصل السادس

لم تكترث جيل بما قد يثيره غيابها من تعليقات، فقد تعبت من تمثيل دور صديقة ميداس، إذ بعد ان أوشك الإدعاء ان يصبح حقيقة، كيف سيمكنها ان تجلس امامه إلى مائدة العشاء؟ انها لن تتمكن من الاختباء في غرفتها إلى الأبد، ولكن هذه الليلة لن تكون كثيرة عليها.

عندما ادعت بأن لديها صداعاً، شملتها مديرة المنزل بعطفها وارسلت اليها في صينية العشاء بعض حبوب الأسبرين، وفكرت جيل في ان الخدم شيء مفيد حقاً، فميداس لن يكتشف انها كانت تأكل في غرفتها إلا بعد ان يفوت أوان القيام بشيء في هذا السبيل.

أدارت الشريط الذي سجلته للمقابلة، ثم اخذت تستمع اليه، كان الجزء الأول يتحدث عن مهنته الأولى.

كان الأمر وكأنها تستمع إلى تمثيلية تعرف سلفاً تعاسة نهايتها.

وعندما انتهى الشريط كانت عيناها مغرورقتين بالدموع.

أخذت تضع تصميم الربيورتاج، ولكن العمل لم يكن مرضياً، مادة المقالة ستحوز رضا بيل داوني، ولكن كشف اسرار ميداس للعالم لم يبعث السرور إلى نفسها، ربما كان الحق معه، فالناس ليسوا بحاجة إلى معرفة كل شيء عنه، وما كانت تفعله إنما لإرضاء فضولهم ليس إلا.

لقد علمت عن نفسها شيئاً هاماً، وذلك منذ قدومها إلى فينسيرو، وهو انها لم تخلق لتكون صحافية، فلتدع ذلك لأمثال جيف بولن في العالم، ان اسعد اوقاتها هو عندما تجلس لتكتب قصة الأطفال والتي كانت مصممة على اهدائها إلى جورجينا إذا نشرت.

اخذت تمضغ طرف قلمها مفكرة، ربما عليها ان تعمل من كتابة قصص الأطفال مهنة لها، ولكن بماذا تعيل نفسها؟ انها عندما تستعيد حق الوصاية على جورجينا، ستكون بحاجة إلى اكثر من أي وقت مضى، وحتى الوظيفة نفسها غير كافية لاعالتهما هي وابنتها، ومن دون العلاوة المخصصة للعناية بالطفل، والتي يزوّدها بها مخدومها، كان ذلك مستحيلاً تقريباً.

كان في هذه الأفكار الكئيبة ما يكفي ليجعلها اشد عزماً في الجد في إنجاز الربيورتاج، وعندما انتهت من كتابة المسوّدة، كان الوقت قد اصبح متأخراً كما ان معصمها قد بدأ يؤلمها من الكتابة، واستلقت لحظة على الوسائد خلفها تريح عينيها قليلاً بإغماضهما، بينما كانت الصفحات متناثرة حولها على السرير.

وعندما دخل ميداس كانت نائمة وقد مال رأسها إلى ناحية تحيط به خصلات شعرها الذهبية، بينما سقطت نظارات القراءة إلى حافة أنفها. كانت اشبه بطفلة تضع نظارات أمها، كما تراءت له وهو يقف عند أسفل السرير ينظر اليها، وكانت جيل ترتدي معطفها المنزلي الحريري فوق قميص نوم مزين بالدانتيلا يكشف عن ساقيها الطويلتين اللتين لوحت بشرتهما الشمس بلون عسلي ذهبي.

وإذ حدث نفسه بأن البرد سيؤذيها اذا هو تركها بهذا الشكل، اخذ يجمع الأوراق المكتوبة والمتناثرة حولها وقد عبس عندما رأى موضوعها، ثم رفع النظارات عن عينيها ووضعها على المنضدة القريبة من السرير.

وإذ لمسها وهو يفعل ذلك، تحركت بخفة ثم انفرجت شفتاها عن ابتسامة، ما جعله يشعر وكأن شيئاً اعتصر قلبه.

شعر وقد تملكته صدمة، انه يريد ان يوقظها ويقول لها انه يحبها، لقد كان يريد ان يفعل ذلك بعد ظهر اليوم، ما الذي يحدث له؟ ألم يقل بنفسه انها عدوة له؟

مد يديه يجذب غطاء السرير من تحتها ثم يغطيها به، وتكوّمت هي تحته كالقطة، جاذبة اطراف الغطاء فوقها حتى لم تعد تبدو سوى اناملها، وعندما اطفأ النور وسار نحو غرفته، لم تتحرك.

في الصباح التالي استيقظت وقلبها مليء بالبهجة، وسرعان ما عرفت السبب وهي تتذكر انها حلمت بميداس وانه كان يصارحها بأنه يحبها.

قرر ميداس ان يأخذ ضيوفه في رحلة بحرية بمركبه لايدي هواي، ولكن جيل حاولت ان تعتذر عن مرافقتهم، ذلك ان آخر شيء كانت تريده هو ان تبقى طوال النهار في المركب مع ميداس ثورن، وهي تدرك ان كل نظرة منه تزيد من اضطرام عواطفها نحوه بما لن يجديها نفعاً.

لكنه لم يقبل شيئاً من اعذارها وهو يقول بصوت قاطع: «ان الآخرين يتوقعون حضورك.»

فقالت محتجة: «المفروض ان يعتقدوا انني صديقتك ولست توأمك.» ولكنها كانت تعلم ان النقاش خاسر من

اساسه، فما يريده ميداس يحصل عليه، لقد علمتها علاقتهما القصيرة كل هذا.

اجتمعوا في الفناء بجانب رصيف رسو الزوارق حيث كان المركب البخاري جاهزاً متألقاً في أشعة شمس الصباح، ورأت جيل وهي تقف بجانب ميداس، الطائرة المروحية جاثمة على العشب، لا بد ان دانييل قد احضر بريد الصباح اثناء تناولهم طعام الافطار.

وسألت ميداس: «هل دانييل قادم معنا؟»

نظر ميداس إلى الطيار، والذي كان يتفحص الطائرة: «اشك في ذلك، عليّ لهذا ان اخبره ان يأخذ إجازة يوم.»

«ربما هو من الشوق إلى أسرته بحيث لا يستمتع بفراغه من العمل، وربما بقاؤه مشغولاً يساعده على النسيان، لقد كان اخبرني انك تحاول ترتيب أمر قدوم أسرته إلى هنا.»

قطب ميداس جبينه، واتجه نظره إلى روبرت وايا والذي كان مستغرقاً في الحديث مع جيرهاردت مولر على ظهر المركب لايدي هواي، ثم قال: «أرجو ان يساعدنا هذا المؤتمر في بعض الأمور.»

ثم خفض صوته وتابع يقول: «حتى انني قدمت بعض الامتيازات التي قد تنفع، وهكذا ربما سيكون لديّ بعض الأخبار الجيدة لأجل دانييل عندما ينتهي هذا المؤتمر.»

«وهل اخبرته بذلك؟»

«نعم، ولكنني حذرته من ان يضخم الآمال، فالمسألة كلها هي حساسة سياسياً.»

فأومأت وهي تتذكر ذلك الانقلاب العسكري الذي هز فيجي، وما تبعه من تغير في الأوضاع، وكانت قد كتبت عنه

دون ان تعطيه اهتماماً يذكر، والآن بعد ان عرفت شخصاً كان تأثر من ذلك شخصياً، فقد شعرت بنفسها معنية بالأمر، وصممت على ان تعود إلى مراجعة اعداد الصحيفة التي كانت تحدثت عن ذلك، حين عودتها إلى العمل.

انضم ماتسوهيتو ياما موتو اليهما وهو ينحني لهما مبتسماً بمودة، حياه ميداس باللغة اليابانية وسرعان ما استغرق الاثنان في الحديث، ثم ما لبثوا ان اتجهوا نحو المركب حيث صعدوا إلى متنه ومن ثم ابتدأت رحلتهم في النهر.

كانت المركب مترف للغاية، قد بني سنة ١٩٣٠، فهي مكسوة بالخشب ومؤثثة بالماهوغاني الصلب، وكان الأثاث في الصالون منجداً بالمخمل الوردي وجلد الغزال والأرض مغطاة بسجادات سميكة حمراء.

وإذ رأى الربان جاك داير اهتمامها أخذ يشرح لها كيف ان المركب كان لبعض رجال الأعمال الاستراليين، الذين كان استخدامهم لها موضع تساؤل، وذلك في سنوات الحرب الفيتنامية وقد احترقت حينذاك جزئياً ثم اشتراها ميداس سنة ١٩٨١ واصلحها كلياً منفقاً عليها مبلغاً كبيراً.

استرعى انتباهها فوضى قامت على سطح المركب الخلفي، فهرعت إلى هناك وإذا بها ترى السيد ياماموتو يجذب بكل مشقة سمكة ضخمة سوداء اللون كانت تتقلب في نواحي السطح، إلى ان جاء الربان فأجهز عليها، وهو يقول ان وزنها لا يقل عن ثمانية أرطال، وترجم ميداس كلامه هذا إلى اليابانية للسيد ياماموتو الذي تبسم ضاحكاً بسرور، وهو يصر على ان تؤخذ له صور عديدة إلى جانب السمكة

التي اصطادها، واعداً بأن يطلب من الطاهي ان يعدها للعشاء، ولم ينته اخذ الصور إلا بعد ان انهاها ميداس بنفسه.

لم يحدث بعد ذلك صيد ذو شأن، ولكن الصباح مر بهم أنيساً بما فيه الكفاية، وامضت جيل معظم الوقت غافية على كرسي السطح، مستمتعة بأشعة الشمس، كم ستفتقد هذه الحياة عندما تعود إلى العمل، لقد لعب ميداس دوراً كبيراً في حياتها، ربما اكثر مما قام به من عمل.

وعند الغداء اخذهم الربان إلى الشاطىء في قارب صغير حيث اقام البحارة مكاناً للشواء على الشاطىء، وسرعان ما تصاعدت رائحة الشواء التي تسيل اللعاب. وجيء بسلة من قصب فيها خبز فرنسي، وهكذا استمتعوا بألذ وجبة تناولتها جيل.

قال لها جيرهاردت وهو يتسكع حولها: «يبدو انك مسرورة تماماً.»

فأجفلت، وقد تذكرت آخر مواجهة لها معه، فقالت بحذر: «ولماذا لا؟ انه يوم رائع.»

رفع يده باستسلام هزلي: «استرخي، فقد جئت لأعتذر عن الأمس، لقد كنت اخذت عنكما، انت وميداس فكرة خاطئة، فلم اظن ان لديك مانعاً إذا انا أبديت اهتماماً بك.»

«ما الذي تعنيه بقولك (انك اخذت عنا فكرة خاطئة)؟»

«كنت تبدين احياناً عدم مودة نحو ميداس ولكن بامكاني الآن ان أرى مبلغ خطأي حينذاك.»

تساءلت عن الفرق بين اليوم والأمس، لقد اصبح بإمكانها حقاً ان تقف براحة إلى جانب ميداس، محدثة

نفسها بأن هذه المسرحية ستنتهي قريباً، وقد شاركت في الهرج الذي حدث عندما اصطاد السيد ياماموتو تلك السمكة وأبدت مع ميداس حماسة ومرحاً بالغين، فإذا كان هذا أقنع جيرهاردت بأنها حبيبة ميداس، فعليها ان تهنىء نفسها، ولكن هذا لم يخفف من الألم الموحش الذي تملك نفسها، ولم يكن لأول مرة انها تتمنى لو كان التمثيل حقيقة، وعندما رفعت بقايا الغداء، تمطت وهي تنهض واقفة وهي تسأل: «هل نحن ذاهبون الآن إلى المركب؟»

فقال ميداس: «انني ارتب لضيوفي أمراً ممتعاً.» ومن غابة هناك برز رجل طويل القامة نحيفها، أسمر البشرة، وقد قدمه ميداس بأنه حارس الغابة، وانه سيأخذ الزوار إلى نزهة داخل الغابة لكي يروا رسوم سكان البلاد الاصليين على جدران الكهوف المنتشرة في أنحاء منطقة نهر الهاوكسيرو.

كانت جيل قد زارت هذه الكهوف عندما كانت فتاة صغيرة فتذكرت ان بعض تلك المنحوتات كانت عملاقة، بعضها يتجاوز الثمانية عشر متراً ارتفاعاً، وكانت واثقة من انها ستعجب الزوار إلى حد كبير.

وعندما قالت هذا، سألها جيرهاردت: «ألست قادمة معنا؟»

فقطبت جبينها قائلة: «ان لدي صداعاً من بقائي في الشمس مدة طويلة، اظنني سأعود إلى المركب لأرتاح.»

قال ميداس متطوعاً: «سأعود معك، إذن.»

كانت تعلم انه كان يفعل ذلك لمجرد العرض، لكي يجعله يبدو بأنه يهتم بها فعلاً، فقالت تجيبه: «لا حاجة بك للعودة، سأكون بخير.»

لم تكن تحب البقاء معه بمفردهما طوال فترة العصر، لقد كانت آملة في ان يذهب مع ضيوفه، ما يمكنها من استجماع افكارها، ولكن ها هي ذي خطتها تعطي عكس النتيجة المرجوة.

فقال لها: «سيكون الضيوف على مايرام مع الحارس، سأرافقك إلى المركب لكي اطمئن عليك.»

لم يكن هناك ما تستطيع عمله سوى الوقوف بانتظاره بينما كان يودع ضيوفه ثم يعود ليأخذها إلى المركب، وكان البحارة قد سبق وعادوا ببقايا غدائهم، انهما على الأقل لن يكونا بمفردهما.

ولكن عندما عادا إلى المركب، لم يكن هناك أثر للربان أو البحارة.

وقال ميداس معلقاً على غيابهم: «ربما ذهبوا مع الحارس الآخر لصيد السمك.»

فشعرت بغصة في حلقها وهي تقول: «هل اعطيتهم إجازة عصر هذا النهار؟»

«ولماذا لا؟ ليس لديهم ما يعملونه قبل عودة الضيوف.»

تمنت لو انها ذهبت مع الضيوف في نزهتهم، ولكنها كانت تشعر فعلاً بصداع من جراء تعرضها للشمس، وان لم يكن بمقدار السوء الذي ادعته، وقررت ان تستمر في هذا الإدعاء آملة ان يتقبله ميداس.

رفعت يدها تلمس جبينها قائلة: «هل لديك مانع من ان استلقي في فراشي فترة؟»

فألقى عليها نظرة جعلتها تشعر بأنها مخادعة، ثم سألها: «هل تشعرين حقاً بصداع؟»

«اتظنين كنت كاذبة في ذلك؟»

«كلا، وانما كنت اتساءل فقط، لا بأس، يمكنك ان تستعملي غرفتي، فهي مريحة للغاية.» وسرعان ما اكتشفت ان كلمة مريحة هي قليلة في حق هذه الغرفة، فقد كان السرير المزدوج الضخم مصنوعاً من خشب الماهوغاني وتحته سجادة ثمينة، كان سريراً مستديراً محتلاً مساحة الغرفة، ويتصل به راديو ومسجل ومصابيح للقراءة، ويتصل بالغرفة حمام خاص قد احتل زاويته مغطس كبير الحجم.

وعندما رآها تنظر إلى كل هذا ذاهلة، سألها: «هل اعجبتك الغرفة؟»

«انها رائعة للغاية.»

دخل ميداس إلى الغرفة ثم عاد بكوب ماء دفعه اليها وهو يقول: «انه محلول الأسبرين، اشربيه ثم استلقي في السرير، تجدي ان الصداع قد اختفى.»

شربت الدواء وهي تفكر في ما عسى ان يشفي الغليان الذي في داخلها، من المؤكد انه لا يمضي كل وقته هنا وحده، من هي التي تشاركه هذا السرير المستدير؟ انها تعلم ان هذا ليس من شأنها، ولكن هذا السؤال لا ينفك عن إزعاجها.

استلقت على السرير، ثم اخذت تنظر حولها ساهمة وهي تتمتم: «هذا ليس حقيقياً، لا شك انني احلم.»

جلس على حافة السرير وهو ينظر اليها طويلاً: «جيل، اريد ان اقول لك شيئاً.» وعندما نظرت اليه متسائلة قال متابعاً: «هل تشعرين معي بالرغبة في ان يتحول تمثيلنا امام الآخرين، إلى حقيقة؟»

تصاعد الإحمرار إلى وجهها، من المؤكد ان مهنتها لم

تعد تقف عائقاً بينهما. سكتت لحظة، ثم اجابت بسؤال، هي أيضاً: «ميداس، اخبرني بشيء.»

«وما هو؟»

«أريد ان اعرف رأيك بي.»

«انك جميلة ومثيرة للغاية.»

ضحكت بشيء من الضيق: «انا لا اعني هذا، أريد ان اعلم رأيك بي كشخص.»

فقال يغيظها: «اتطلبين مزيداً من المديح؟»

«كلا، وانما اريد فقط ان اعرف بأنك ترغب بي لشخصي... وليس لشيء آخر.»

فقال بحزم: «انك صحافية، ولكنك ستدعين ذلك وتصبحين حبيبتي، ما المشكلة في ذلك؟»

عضت شفتها، ثم قالت: «لا أدري، ولكن حبك لن يكون مهنة لي طوال اليوم.»

«حسناً، يمكنك ان تأخذي فرصة للنوم والذهاب إلى السوق.»

اصعقها تهكمه هذا، انه يطلب منها ان يكونا حبيبين، ولكن شعوراً فظيعاً يتملكها بأنهما مازالا لم يصبحا حتى صديقين عاديين.

قالت له بإصرار: «كن جاداً ولو لحظة واحدة.»

«انني جاد، ما الذي تريدينه، يا جيل؟»

لم تكن واثقة من انها تعرف الجواب، حقاً، فما تشعر بالحاجة إليه يتراوح بين رغبتها في قبوله لها كما هي، وبين تعهداته نحوها، وساد الجو بينهما صمت متوتر لم يخترقه واحد منهما.

مضت فترة طويلة تملكها خلالها حزن لا يوصف، ولا بد انه بدا عليها ذلك لأنه قال لها: «ما القصة، يا جيل؟»

«لا شيء.»

«انك سلبية بالنسبة إلى ما طلبته منك... لماذا؟»

«أنا اظنك انت الذي تصرفت بهذا الشكل.»

فرفع حاجبيه متهكماً وقال: «هل لأنني لا اريد ان اعقد ما بيننا من مشاعر؟»

«ان قبولك لي كما أنا لا يعني تعقيد اي شيء.» وصاحت به وهي تتابع: «ولكن ليس بإمكانك هذا، أليس كذلك؟»

«لا أدري ماذا تعنين.»

«لا تدري؟ ماذا عن قولك بأن علي ان أدع مهنة الصحافة؟»

«من المؤكد انك لا تريدين ان تكتبي ذلك الريبورتاج بعد الآن، بعدما تصارحنا عن مشاعر مشتركة.»

«إذن فقد كانت على صواب في ان تقبله لها كان مشروطاً، ان كل ما عليها ان تعمله لكي تستولي على حبه هو ان تهجر كل ما قامت به وما هي عليه الآن؟ كيف سيكون موقفه لو انها فرضت عليه مثل هذه الشروط؟ ربما هو يعرض عليها حبه فقط بغرض ان تتخلى عن نشر هذا الريبورتاج، واثارها تفكيرها في هذا الاحتمال، وشعرت برغبة رد الصاع صاعين، فسألته: «وكيف تعلم ان تجاوبي معك لم يكن لأجل الحصول على الريبورتاج؟»

فشحب وجهه: «لا اظنك منحطة غشاشة بهذا الشكل أم انك كذلك حقاً؟ لن اصدق حتى أرى الريبورتاج منشوراً في صحيفة صوت سيدني.»

فقالت بلهجة فيها خيبة الأمل: «انك لا تفكر بي كثيراً، أليس كذلك؟ انني لن اكتب القصة مفصلة، إذا كان هذا ما يقلقك، كل ما اريد فعله هو كتابة المقالة التي اتفقنا عليها، انك تدين لي بذلك، ومن ناحيتي فقد قمت بالدور الذي اتفقنا عليه.» واردفت بحدة: «أريد ان انهي الريبورتاج، واذا لم افعل فلن احصل على الترقية التي احتاجها لاستعادة جورجينا.»

فالتهبت عيناه: «دعي عنك الترقية هذه، فأنا مستعد لأن امنحكما، انت وابنتك كل ما تحتاجانه.»

كانت هذه نفس كلمات تيري عندما عرض عليها الزواج، فماذا كانت النهاية؟ وهزت رأسها: «الأمر مختلف، ان عليّ ان اقوم بذلك بنفسي.»

فهز رأسه محبطاً: «لماذا يا جيل؟ الا تثقين بي؟ انني لن اخذلك، فقد اصبحت تعنين بالنسبة إليّ اكثر مما كنت احلم.»

«لا تقل هذا، ارجوك.»

ذلك انها اخذت تفكر في انه قد يعني هذا حقاً الآن، ولكنها لا تستطيع المجازفة، فعندما يحصل على ما يريد، سينتهي كل شيء، تماماً مثل زواجها من تيري، فالرجال الذين مثله ومثل ميداس انما تهزهم المطاردة، فإذا وصلوا إلى ما يريدون، انتهى اهتمامهم بالفريسة.

تناهى إلى مسامعهم ضجيج ينبيء عن عودة البحارة، ثم صوت حارس الغابة وهو يعود ادراجه ليحضر الضيوف من نزهتهم.

عادت جيل إلى فينسيرو بمزاج سيىء، فلم تشترك في

الأحاديث الشيقة التي دارت بين جيرهاردت وروبرت وايا عن رسوم سكان البلاد الأصليين على جدران الكهوف، حتى ان ياماموتو انضم اليهم في الحديث رغم ضعف لغته الانكليزية. ميداس فقط، والذي كان مزاجه بمثل سواد مزاجها، لاحظ ضيقها وانعزالها. لكنه لم يحاول اشراكها في الحديث. ولكن الآخرين كانوا من الحماسة، بحيث لم يلاحظوا ذلك.

عندما اصبحت في فينسيرو، اسرعت إلى غرفتها، وإذا بتيد حارس ميداس الخاص، يعترضها فجأة حتى كادت تصطدم به، فمد يده يسندها وقد بان الوجوم على وجهه، وهو يقول: «لديّ خبر مستعجل لأجلك، يا سيدة كايسي.»

«أهو اتصال هاتفي؟ ممن؟»

«انه من السيد كايسي، وهو عن ابنتك.» فحاولت ان تندفع راكضة وهي تقول: «هل تيري عند الهاتف، دعني اتحدث اليه.»

«لم نكن نعلم متى تعودين، ولهذا ترك لك خبراً بأن ابنتك الصغيرة مريضة وهي تطلبك، انهم يشتبهون بمرض حمى الغدد.»

دارت الغرفة بجيل لحظة، وعندما استعادت توازنها بجهد، سألته: «متى اتصل؟»

«قبل دقائق قليلة من عودتك.»

شعرت بميداس قادماً خلفها، لا بد انه سمع كل شيء، نظرت اليه ضارعة، انه طبعاً لن يمسكها عن الذهاب لرؤية ابنتها المريضة والتي هي بحاجة اليها، مطالباً إياها بتنفيذ وعدها بالبقاء.

كان العطف البادي في نظراته الرد على سؤالها، ونظر إلى تيد يسأله: «ألم يذهب دانييل إلى سيدني بعد؟»

فهز الرجل رأسه: «كلا، ولكنه قد يذهب في أي لحظة.»

«أوقفه عن الذهاب، اخبره ان لديه مسافراً سيذهب معه.» قال ذلك وهو ينظر إلى جيل مطمئناً.

www.elromancia.com

الفصل السابع

لم يستغرق حزم امتعتها سوى وقت قليل جداً، ذلك ان معظم الملابس التي كانت ترتديها، تعود إلى شقيقة ميداس، فتركتها جيل معلقة في غرفة الملابس، وفكرت في ميداس، ما الذي جعلها تبادله العواطف بينما تعلم انه يكره كل ما تحب؟

كان قد اشعل رغبتها نحوه رجاؤها في ان الأمور تغيرت بينهما، ولم يكن هذا التفكير حكيماً من جهتها، ولا شك ان وجودهما معاً في جناح واحد قد جعلها تتصور ان لديهما مشاعر مشتركة ولكن كان مجرد التفكير فيه يرسل البهجة في كيانها. كلا لا يمكن ان يكون ما تشعر به نحوه، هو مجرد تصورات، التصورات هي فقط الأمل في انه قد غير موقفه من عملها، فافتراضه بأن عليها ان تتخلى عن كتابة الريبورتاج لمجرد انهما تبادلا المشاعر، كل هذا يدل على مبلغ حماقة توقعاتها.

وتنهدت، ربما هذا الرجاء نفسه كان غير عقلاني، فلو كانت خسرت زوجاً وولداً، اما كانت ستكره كل من كان مسؤولاً عن ذلك؟ نعم، هذا ما سيحصل، فهي ترجو فقط ان تكون، من الحكمة بحيث تتمكن من التفريق بين المذنب والبريء، في ذهنها.

كان دانييل قد جهز لها حقيبة صغيرة بالحاجيات التي كانت طلبت منه إحضارها عند وصولها إلى الجزيرة،

وهكذا وضعت ما بقي لديها من اشياء في الحقيبة ثم اقفلتها، إذ سرعان ما ستكون في طريقها عائدة إلى سيدني، وكل ما حدث لها هنا سيصبح مجرد ذكريات، وتملكها شعور من الوحشة لهذا التفكير.

ظهر ميداس عند العتبة وشاهد ما هي عليه من كآبة، فقال: «لا تقلقي يا جيل، انني واثق من ان ابنتك ستكون بخير وعافية.»

كان يظن حزنها لأجل ابنتها فقط. ما الذي سيقوله لو انها اخبرته بأنها وسط اهتمامها بابنتها، تتمزق في داخلها لافتراقها عنه، وكأنه قرأ افكارها، قال: «اتريدينني ان اذهب معك إلى سيدني؟»

كان مجرد التفكير في انه سيجلس إلى جانبها اثناء الرحلة، كان ذلك كفيلاً بأن يحمل قلبها على الخفقان السريع، كان كل ما بامكانها ان تقوم به، هو ان لا تخبره بذلك، ولكن مشاكلها لم تكن من شؤونه وليس لها الحق في ان تشغله بها، فقالت: «هذه شهامة منك، ولكن ضيوفك بحاجة اليك هنا.»

فخنق بين شفتيه ما بدا وكأنه شتيمة، ثم قال: «انهم راحلون هذه الليلة على كل حال، فإذا كنت بحاجة إليّ...»

(إذا)؟ انها لم تشعر في حياتها قط بحاجة إلى شخص اكثر مما هي بحاجة إليه الآن، لم يكن لديها شك في ان عرضه هذا هو من قلب مخلص، ولكن إذا هي قبلت، فسيكون عليها ارتباطات، إذ ستشعر اخلاقياً بأن عليها ان تتخلى عن الريبورتاج وعن الترقية التي قد تساعدها في استعادة جورجينا، فهي لا تستطيع المجازفة، خصوصاً بعد خبرتها

تلك مع تيري الذي كانت وعوده كثيرة ولكنها لم تجد منه سوى ألم القلب.

قالت له: «شكراً، ولكنني سأصبح على مايرام، يكفيني شعوري بالذنب لإزعاج دانييل معي.»

بدت نظرة خشنة في عيني ميداس وكأنها خيبت أمله بشكل ما، هل كان يتوقع منها ان تتوسل إليه بأن يأتي معها؟ هز رأسه وكأنه يصرف هذا من تفكيره وهو يقول: «لا تقلقي بشأن دانييل. فهو يأخذ أجره لكي يذهب إلى أي مكان أريده.»

حملت حقيبة ملابسها الصغيرة، وهي تقول: «من الأفضل ان لا اجعله ينتظر اكثر من ذلك.» حمل الحقيبة عنها ثم سارا معاً إلى حيث كان دانييل بجانب المروحة.

كان محرك الطائرة يدور، ولكن ميداس وضع الحقيبة على الأرض ثم أمسكها من كتفيها: «انني آسف لكونك سترحلين بهذا الشكل، كنت أرجو ان تكون نهاية اقامتك مختلفة.»

نعم، سعيدة إلى الأبد مادام يعدها بحب أبدي ومادامت أقسمت على ان لا تكتب عنه، لقد توقفت عن تصديق الحكايات الخرافية منذ وقت طويل.

هزت كتفها متصنعة عدم الاهتمام، كي لا يلاحظ ما تشعر به من ألم لافتراقها عنه: «مادام لهذا ان ينتهي يوماً ما، على كل حال، فمن الافضل ان يحدث هذا بسرعة ودون ألم.»

فقال: «بسرعة، نعم، ولكنه ليس بدون ألم، على الاطلاق، فلديّ الكثير مما أريد قوله لك.»

دمعت عيناها وهي تصافحه مودعة، وهي تقول: «اظننا قلنا كل شيء عصر هذا اليوم، ألا تظن أنت ذلك أيضاً؟»

توتر فكه وهو يجيب: «كلا، لا اظن ذلك، لقد قلنا نحن الاثنين، اكثر مما يستوجبه التعقل، ولا أريده ان يقف عند هذا الحد.» شعرت بأنها إذا بقيت اكثر فستنهار حتماً وتخبره بأنها لم تكن تعني ما كانت قالته له، ولكن ذلك كان سيعني تفحص البدائل لهذا، والتي لم تكن مستعدة للقيام بها.

وقالت بإصرار: «عليّ ان اذهب.»

مد يده إلى جيبه، ثم أخرج مفتاحاً: «هذا مفتاح منزلي الروف في فندق سيرياس فإذا كنت بحاجة إلى مكان تقيمين فيه، يمكنك استعماله.»

اجفلت وهي تحدّق إلى المفتاح، ولكنها قالت دون ان تمد يدها لأخذه: «ان لدي بيتي في ضاحية بالمين.»

«ولكنك لا تعلمين ما قد يحدث لجورجينا، قد تحتاجين إلى ان تكوني بقربها في المستشفى، أو ما أشبه، ان خدمي سيساعدونك في المواصلات، أو أي شيء آخر تحتاجينه، أرجوك.»

لم يكن الجدل إلا ليسبب لها مزيداً من التأخير وهكذا دست المفتاح في حقيبة يدها: «قد لا احتاجه، ولكن شكراً لعرضك هذا.»

ثم استدارت نحو الطائرة، أمسك بكتفيها يديرها نحوه وهو يقول: «جيل، اتصلي بي هاتفياً، واعلميني عن حالة ابنتك، مهما كان الوقت متأخراً، فأنا لن أرتاح قبل ان اعلم ان كل شيء على مايرام.»

بددت رقته هذه كل تفكير عقلاني لديها، فلم تستطع سوى ان تومىء قائلة: «اعدك بذلك.»

«شكراً لك.» ثم ادارها باتجاه الطائرة بينما عاد هو إلى البيت.

عند قدومها إلى فينسيرو، ذاقت طعم الرفاهية في هذه الطائرة بمقاعدها المريحة للغاية، أما الآن فقد كان مجرد سرورها هو شعورها بأنها وحدها، ما جعل السكون المخيم مساعداً في استجماع افكارها المتشابكة.

كانت من ناحية مليئة بالقلق على جورجينا ومبلغ مرضها، ومن القليل الذي كانت جيل تعلمه عن حمى الغدد هو انه مرض خطير، لماذا لم تفكر في الاتصال بتيري لتعرف حقيقة الوضع قبل ان تسافر؟ لقد كانت من التوتر، بحيث لم تفكر في ذلك، وها هي ذي الآن تجاهد في عدم الذهاب بعيداً مع تصوراتها قبل ان تعلم مبلغ مرض جورجينا بالضبط.

ومن ناحية أخرى كان رأسها مايزال يدور ذاهلاً، مما شعرته من رقة ميداس وحنانه، كان يبدو وكأنه كان حقاً كارهاً لفراقها، اتراه يمهد بهذه الرقة لرؤيتها مرة أخرى؟ وإذا كان الأمر كذلك فإلى أين تسير علاقتهما؟

وعندما اخذت الطائرة تقترب من املاك تيري في ضاحية باراماتا، اخذت تفكر في الماضي، لم يحدث من قبل ان اهتمت لوجود مكان خاص خلف منزل تيري لهبوط الطائرة، وعندما ذاع الخبر عن رغبته في صنع ذلك، احدث هذا ضجة بين جيرانهم، ولكنه كان يحتاج الطائرة عندما يستدعونه إلى الهاتف لإذاعة خبر طارىء وذلك بشكل مفاجىء.

كان منزل تيري قائماً على مرتفع تحيط به فدادين من

مروج خضراء، وكان قد بني في عهد الاستعمار خصيصاً لسكن الحاكم العسكري.

تذكرت جيل مبلغ الهيبة التي تملكتها حين رأت هذا المكان لأول مرة، فقد بدا كبيراً إلى حد لا يصدق وذلك بالنسبة إلى منزل والديها في الضواحي، وعندما طلب تيري منها ان تترك عملها لتتفرغ لإدارة المنزل، قبلت على الفور.

وهي الآن تعود إلى هذا البيت لأول مرة بعد طلاقها، وكانت قد استضافت جورجينا في شقتها عندما كان دورها للعناية بابنتهما.

ولم تنتبه حين حطت الطائرة على الأرض إلا بعد ان وقف هدير المحرك، ثم فتح دانييل الباب ليساعدها على النزول، وكان تيري ينتظر عند حدود مكان نزول الطائرة، وقد بدا الحسد في عينيه وهو يتفحص شكل المروحية، ثم يقول: «أهلاً وسهلاً بعودتك إلى البيت، يا جيل، ان قدومك هذا في منتهى الأبهة والأناقة.»

فقالت: «ولكنه ليس بيتي.» والتفتت إلى الطيار. «ان دانييل كان من الشهامة بحيث احضرني إلى هنا بأسرع وقت ممكن.»

وقفت تنتظر منه ان يحدثها عن جورجينا ومرضها، ولكن بدا عليه انه اكثر اهتماماً بدانييل وهو يقول له مادا يده ليصافحه: «انني مسرور بمعرفتك، انني تيري كايسي.»

حيث انه كان يملك اكثر الوجوه شهرة بين مذيعي التلفزيون، فلا بد ان دانييل قد عرفه من أول نظرة، ولكن لم يصدر عن دانييل سوى ابتسامة وهو يصافحه مقدماً نفسه

هو أيضاً: «دانييل براساد، الطيار الشخصي للسيد ميداس ثورن.»

فنظر تيري إلى الطائرة بإعجاب: «إذن جيل تسافر بهذا الشكل؟» واخذ يدور حول الطائرة يتأملها بإعجاب إلى ان فهم دانييل الاشارة ومنحه جولة بالطائرة.

وقفت جيل تراقبهما قدر احتمالها إلى ان كادت تنفجر غيظاً، فقالت: «استمتع بهذه اللعبة فأنا ذاهبة لأرى ابنتي.» ثم استدارت صاعدة إلى المنزل.

كانت غرفة جورجينا في المؤخرة، تطل على الحديقة، وعندما دخلت جيل كانت المربية كاي تلعب مع الطفلة لعبة بناء بيت على لوح وعندما رأت جيل قفزت واقفة: «السيدة كايسي، لم اتوقع وصولك بهذه السرعة.»

فقالت باختصار: «لقد جئت بالطائرة، كيف حال جورجينا؟»

نظرت المربية إلى الطفلة: «انها بخير.»

وإذ كانت جورجينا ماتزال مستغرقة في اللعب، فقد رفعت الآن بصرها ورأت القادمة، فهتفت بفرح طفولي: «اهذا انت يا والدتي؟» واخذت تقفز وهي تمد ذراعيها.

فألقت جيل بنفسها على السرير تحتضن الطفلة وكأنها لا تريد تركها أبداً، ثم أمسكت بها على مدى ذراعها تنظر اليها: «دعيني انظر اليك.» رأت دلائل الحمى في زيادة لمعان العينين وتوهج الوجنتين، وعدا ذلك فقد بدت صحيحة الجسم إلى حد مدهش.

«ما الذي قاله الطبيب؟»

اندفعت جورجينا تقول: «قال ان لدي فاوروس.»

فنظرت جيل إلى المربية مستفهمة: «لديها ماذا؟»

أجابت هذه: «لديها فيروس وعليها ان تبقى في الفراش أربعاً وعشرين ساعة، وهذا كل شيء.»

شعرت جيل بارتياح بالغ وهي تسأل: «ان مرضها إذن لم يكن حمى الغدد؟»

وقبل ان تجيب المربية، ظهر تيري عند عتبة الباب، فقال: «كان ذلك احتمالاً، ولكن فحص الطبيب اثبت ان لديها عدوى جرثومية ستنتهي خلال يوم أو نحوه.»

التهبت وجنتا جيل غضباً: «اريد ان اتحدث اليك.» قالت ذلك بقدر ما استطاعت من هدوء الأعصاب، ثم ابتسمت لابنتها قائلة: «اما أنت فتابعي اللعب مع كاي إلى ان اتحدث مع والدك.»

«هذا حسن، هل ستتحدثان عن الفاوروس الذي لديّ؟»

«هذا مؤكد طبعاً.»

استمرت البسمة على شفتي جيل إلى ان ابتعدا عن مرمى سمع الطفلة، فانفجرت تقول لزوجها السابق: «لماذا قلت لي انها حمى الغدد؟ لقد أرهقني القلق طوال الطريق إلى هنا.»

فهز كتفيه دون اهتمام: «كان من المحتمل ان تكون كذلك.»

«ولكنها لم تكن. ألم تفكر في مقدار الذعر الذي سيتملكني عندما أتلقى الخبر؟»

لا عجب في انه لم يشأ ان يتكلم معها مباشرة، وإذ رأت عدم اهتمامه بمشاعرها، تملكها الذهول، كان تيري مخلوقاً من الحجر، لم يكن يحتوي على أي شعور بالعطف أو الرقة.

حتى أن آراءه الواسعة الانتشار كانت تكتب له ليقرأها بعد ذلك، كان ميداس ثورن اهم من تيري بعشر مرات، فقد كان رجلاً حقيقياً، قوي الشخصية، كان شخصاً يستحق حبها.

سألها بغلظة: «ألم يخطر في بالك قط بأنني ربما أردت ان أراك، بتصرفي ذاك؟» وعندما بدا الارتياب على ملامحها، قال بإصرار: «هذا صحيح، انني اعرف بأنني استغللت مرض جورجينا لإحضارك إلى هنا، ولكنها كانت تطلبك، وهذا لم اكذب به.»

خطر شيء في ذهنها فسألته: «وكيف عرفت مكاني؟»

«اخبروني في صحيفة صوت سيدني بمكانك، وكان اشق مرحلة عليّ حين اخذت ابحث عن رقم الهاتف في جزيرة فينسيرو، فقد تطلب ذلك مني مهارة حقيقية.»

تساءلت جيل عمن عسى ان يكون كشف سر مكانها في الصحيفة، لم يكن من المحتمل ان يكون بيل داوني رئيس التحرير، فهذا يريد ان يبقي سر قصة ميداس في الملفات إلى حين ينبغي نشرها، ثم اشرقت الحقيقة في ذهنها، لقد كان جيف بولن في مكتب بيل عندما اتصلت هي لتخبره عن مكانها، وكان هذا زميلاً لتيري في الجامعة، وكان هذا شيئاً آخر يشتركان فيه بالاضافة إلى انعدام الاحساس لديهما معاً، كان تيري يراقب اكتشافها لذلك، فقال مجيباً على سؤال لم تنطق به: «نعم، انه جيف فلا تغضبي منه.»

هي لم تغضب، فقد كانت تعرف مقدار مهارة تيري في الاقناع عندما يريد شيئاً، فضاقت عيناها متشككة: «لا

استطيع ان اصدق انك بذلت كل تلك الجهود فقط لكي تراني مرة أخرى.»

«كان هذا جزءاً من السبب، ذلك انني عندما علمت بأنك مع ميداس ثورن، أردت ان اعرف ما يجري بينكما.»

«وهل اهتمامك هذا شخصي أم مهني؟»

«الاثنان، تباً لذلك فقد كنت زوجتي ومن الطبيعي ان اهتم بما يحدث لك.»

«ولكنني لست أول صحفية يسمح لها ميداس بأن تكون قريبة منه، أليس كذلك؟»

بدا عليه الضيق بشكل غير عادي، وهو يقول: «انني اعترف بأنني كنت فضولياً، ولكنني كنت أيضاً قلقاً لأجلك، ان ثورن ليس بالرجل الملائم لك.»

كان تعليله لذلك كذبة صريحة، فرغم جفائه لها منذ طلاقهما، إذا باهتمامه يشتعل فجأة عندما علم بأنها عند ميداس ثورن، فقالت له: «لا حاجة بك للقلق علي وعلى ميداس.»

رفع حاجبيه قائلاً: «إذن فهو دور ميداس الآن، أليس كذلك؟ هل انتما حبيبان؟»

فضحها صمتها، ما جعل نظراته تقسو: «نعم، انتما كذلك، هل ذلك هو الثمن الذي دفعته لأجل الريبورتاج؟»

تمنت لو تصفع وجهه: «يا لك من قاس حقود...»

«أليس هذا صحيحاً؟»

هذه المرة لم تستطع ان تمنع نفسها من صفعه على وجهه، ثم اخذت تنظر إلى آثار اصابعها على وجنته وهي تقول: «إياك ان تقول هذا مرة أخرى.»

بدا اكثر تهكماً منه ذهولاً، وهو يتفحص وجهه بأصابعه: «آه، حتى اكثر الناس حلماً، سيثور إذا شعر بالظلم، أليس كذلك؟ انني طبعاً اعلم سبب تصرفك هذا.»

اخذت تمسد اصابعها شاعرة بالأسف للسماح له بأن يستفزها إلى هذا الحد، فهو لا يستحق غضبها، وقالت له: «لا أدري ما الذي تتحدث عنه.»

«لا تعلمين؟ اظنك تستغلين ثورن لتجعليني اغار، فأمتثل لما تريدين.»

تيري فقط من بإمكانه التفكير في مثل هذا الأمر الفاحش، وهزت رأسها: «انك مخطىء، لم يعد لديك شيء يجتذبني بعد الآن، يا تيري.»

«حتى ولا جورجينا؟»

فخفق قلبها: «لا علاقة لها بكل هذا.»

لمعت عيناه بقسوة: «بل لها كل العلاقة، امنحي نفسك لثورن، وانت لن تستعيديها في حياتك أبداً، اقسم على ذلك.»

رفعت رأسها وكأنها تريد ان تخفي خوفها منه: «ان هذا راجع فقط لقرار المحكمة.»

«لقد سبق وكان قرارها في صالحي.»

«وهذا قرار سأستأنفه حالما تصبح لدي الوسائل لذلك.»

لأول مرة ترى لمحة خوف على ملامحه، وهو يقول: «لا أراك مصممة على الزواج من ثورن، أليس كذلك؟»

«كلا، بل انا سأحصل على ترقية جيدة، وعندما احصل عليها، سأقابلك في المحكمة.»

استحال الخوف إلى سخرية: «وقصة ثورن هو الجواز

إلى تلك الترقية أليس كذلك؟» لم يكن ثمة فائدة من الانكار، فأجابت: «نعم، هو كذلك.»

«لقد قطعت شوطاً.»

قال ذلك بلهجة هي من الاخلاص، بحيث جعلها تجمد في مكانها، كان تيري في الواقع يطري ما انجزته، فسألته: «إذن فأنت تقبل الآن فكرة انني لم انجز هذا ببذل نفسي.»

فأدهشها قوله: «انني آسف لما عنيته ضمن كلامي، كما انني قلق لأجل جورجينا أيضاً.»

فقالت بهدوء رغم ان الشكوك مازالت تغلف ذهنها: «اعتذارك مقبول.» ذلك ان ليس من عادة تيري ان يعتذر لأي شيء يقوله أو يفعله، إلا اذا كان قد تغير منذ الطلاق، وهذا ما تشك فيه.

قال وقد قرأ افكارها: «يبدو عليك الإرتياب، ألا تصدقين انني اشتقت اليك؟ عندما اخذت جورجينا تسأل عنك، رأيت هذا عذراً لاحضارك إلى هنا، وكنت اعلم انك لن تحضري لأي سبب آخر.»

«لا عجب في ذلك ما دمت قد حاولت الفصل بيني وبين ابنتي.»

فقال مصححاً كلامها: «بل ابنتنا، لا بأس، اعترف بأنني شعرت بمرارة إزاء هذا الانفصال، هل نسيت انني لم اكن أريد الطلاق قط؟» انه طبعاً لم يكن يريد ذلك، فقد كان لديه كل ما يريد بما في ذلك زوجة مطيعة في البيت، وطفلة وجميع النساء اللاتي يرغب به هن بجانبه.

قالت وقد بدا عليها التعب: «لقد فات أوان كل هذا الكلام، دعني فقط أرى جورجينا ثم اخرج من هنا.»

«لا تسرعي بالذهاب، يا جيل، إبقي هنا هذه الليلة إذ ربما تحتاج جورجينا اليك اثناء الليل.»

كان محتملاً اكثر انه هو الذي سيحتاجها اثناء الليل، وهي لا تريد المجازفة بالبقاء تحت سقف بيته، ولكنها كانت ممزقة عاطفياً بين هذا، وبين احتمال حاجة ابنتها اليها، فقالت له: «سأتحدث إلى جورجينا أولاً وأرى حالتها، ولكنني قد احتاج إلى دانييل لكي يعيدني إلى المدينة بعد ذلك.»

فأظلم وجه تيري مرة أخرى: «ان ثورن كريم جداً نحوك إذ يضحي بسمعته لأجل صحافية.»

فقالت بهدوء: «اننا مجرد صديقين.»

لقد رأت ان الهدنة بينهما قد انهت بعد ان شاهدت تيري يعود إلى طبيعته، بينما قال هو آخر الأمر: «حسناً جداً فليكن ما تشائين، إذهبي وتحدثي إلى جورجينا، بينما سأكون انا في الخارج ألقي نظرة أخرى على الطائرة.»

نظرت إليه وهو يخرج شاعرة بعدم الارتياح، ذلك ان تيري لم يكن مغرماً قط بالأشياء الميكانيكية فهو يحب السياراة السريعة المرفهة، ولكن لأجل المباهاة فقط. والطائرة المروحية لم تكن سوى نوع آخر من وسائل المواصلات السريعة، ومع ذلك فقد كانت هذه الطائرة آغوستا مذهلة وربما اهتمامه صادق.

نفت من ذهنها هذا القلق وهي تعود إلى غرفة ابنتها بابتسامة مشرقة، كانت اللعبة التي كانت تشترك فيها مع كاي قد انتهت واخذت الآن تلون صوراً امامها بأقلام التلوين، وعندما رأت والدتها قالت لها ضاحكة: «خمني ماذا الون.»

نظرت جيل إلى شكل مخطط بقلم عريض وملون بقلم قرمزي، ثم قالت: «انني اذعن. ما هو؟»

فانفجرت الطفلة ضاحكة: «انه فاوروس. ان كاي تقول ان الاسم هو فيـ... في...»

فأكملت جيل قولها: «فيروس، انه نوع من الجراثيم يجعلك تشعرين بسوء الصحة لفترة من الوقت، ولكنه سرعان ما يذهب.»

لقد بدأت الحرارة تنخفض منذ وصولها ما بدت معه وكأنها عادت إلى صحتها المعتادة، جلست جيل بجانبها على السرير وأخذت تسألها برقة عن حياتها هذه الأيام، وكيف حالها في المدرسة؟ وهل تصالحت مع الأولاد في المدرسة، وطمأنت اجابات الطفلة السريعة الأم إلى ان كل شيء على ما يرام.

مرت ساعة بسرعة عندما اخذت جورجينا تتوسل إلى والدتها ان تغني لها فقط اغنية أخرى، أو ان ترسم لها صورة لكي تلونها، كانت جيل جالسة والطفلة بين ذراعيها، ما ملأها بالرضا، كانت تفكر في انهما سيكونان كذلك عندما تعود ابنتها اليها لتعيشا معاً على الدوام.

سألت ابنتها مداعبة: «اتعرفين كيف جئت إلى هنا؟»

فقالت جورجينا: «اعرف ذلك، انك جئت بالطائرة المروحية، انظري هناك انها تذهب الآن.»

نظرت جيل إلى حيث أشارت جورجينا باصبعها، لقد كانت الطائرة ترتفع فعلاً فوق الأشجار وهدير المحرك يصل إلى مسامعهما من خلال زجاج النوافذ، فثار غضب جيل، لماذا يذهب دانييل بدونها؟

سحبت ذراعها من حول جورجينا: «اسمحي لي بدقيقة، يا حبيبتي، ان عليّ ان اذهب لرؤية والدك.»

سألتها الطفلة بلهفة: «هل ستمكثين معنا الآن؟»

هزت جيل رأسها وهي تغالب دموعها: «كلا، مع الأسف، لقد شرحت لك السبب في عدم تمكني من البقاء هنا بعد الآن، ولكنني سأعود إلى رؤيتك صباح الغد الباكر، اعدك بذلك.»

«هذا ليس الشيء نفسه.»

«اعرف هذا، يا حبيبتي، ولكن هذا ليس بيدي، ألا تريدين ان تبتسمي لي؟ ابتسامة فاوروس؟»

عند ذلك ضحكت جورجينا وهي تقول: «ما هذا يا والدتي؟ لقد اخبرتك بأنه لم يعد لديّ فاوروس.» وفتحت ذراعيها لاحتضانها، فكررت جيل وعدها بالحضور عند الصباح، وهي تحتضنها بشدة، ثم أسرعت تغادر الغرفة قبل ان ترى جورجينا الدموع في عينيها.

كان تيري في غرفة الجلوس عندما اندفعت هي إلى الغرفة كالعاصفة: «لماذا جعلت دانييل يذهب؟»

«بدا لي من الغباء ان اتركه ينتظر بينما هناك احتمال في ان تغيري رأيك وتبقين هنا.»

«أنت تعلم انني لن أبقى، انك الآن ستكلفني دفع مبلغ باهظ أجرة سيارة تعيدني إلى المدينة.»

«انك عنيدة كعادتك، أليس كذلك؟ وكذلك واثقة من انك على صواب، أرى انك ستذهبين مباشرة إلى مأوى الكلاب ذاك في بالمين؟»

كان يعني بذلك شقتها، حسناً فهي صغيرة، ولكنها ليست سيئة كما يصفها، وكانت على وشك ان تقول انها لن تقصدها، عندما تملكها شعور كالثلج، لماذا يهتم تيري

بمعرفة المكان الذي ستذهب اليه؟ إلا اذا كان لديه فكرة جنونية للحاق بها واقناعها بالعودة إليه؟

وصلت إلى قرار سريع فقالت: «انني ذاهبة إلى بيتي طبعاً، وإلى اين اذهب إذن؟»

لقد كانت سبق وقررت الذهاب إلى منزل ميداس الذي كان قد أعطاها مفتاحه، ولكنها لم تشأ ان تقول ذلك. طلبت سيارة أجرة في الهاتف ذاكرة انها ذاهبة إلى ضاحية بالمين، ان عليها ان تنزل هناك لكي تجمع حاجياتها، ولهذا لم تكن تكذب، ولكنها ستطلب من السيارة الانتظار لكي تأخذها إلى فندق سيرياس، بعد ذلك.

من حسن الحظ ان سيارة أجرة كانت مرت من هناك لتنزل راكباً في الشارع القريب، فتلقى مخابرتها ووصل إليها بعد دقائق من اتصالها، ودون أي تعليق، ساعدها تيري على الصعود إلى السيارة ثم ناولها حقيبة ملابسها الصغيرة التي كان دانييل قد تركها لها.

قالت له وهي تراقب ملامحه: «لقد وعدت جورجينا بأن احضر لرؤيتها غداً صباحاً.»

لم يظهر على وجهه أثر مما يعتزم القيام به، وهو يقول: «إلى الغد إذن، تصبحين على خير، واحلمي بي.» ثم اغلق باب السيارة التي سرعان ما ابتعدت بها.

تهالكت على مقعد السيارة، شاعرة وكأنها قد قامت بشوط طويل في سباق الجري، أيريدها ان تحلم به؟ ما اجمل هذا! انها مقتنعة تماماً بأنه ينوي مفاجأتها في شقتها في بالمين هذه الليلة، حسناً، انه سيكون الشخص الذي سيتلقى المفاجأة، وذلك عندما لا يجدها.

عندما انزلتها سيارة الأجرة امام فندق سيرياس، اكتشفت ان الخدم في شقة ميداس في انتظار حضورها، وحالما ذكرت لهم اسمها، قيدت إلى المصعد الخاص الذي صعدبها إلى الشقة والتي كانت تحتل طابقين من الفندق.

رأته شيئاً لا يصدق وهي تطوف من غرفة إلى أخرى بعينين متسعتين تعجباً، كان الترف في هذا المكان يخطف الأنفاس.

كانت الجدران مغطاة برسوم لأشهر الرسامين والتحف الذهبية تزين المناضد المنخفضة في غرفة الجلوس.

اخذت مديرة المنزل جيل إلى جناح الضيوف، وكان يحتوي على حوض مملوء بالمياه المعدنية ومناظر اسطورية الجمال تطل عليها الشقة لسطوح مدينة سيدني حيث تبدو اثناء الليل كالماسات المتناثرة على قماش مخملي اسود.

قبلت ما عرضته عليها مديرة المنزل من وجبة خفيفة والتي وجدتها عجة بالكافيار وما تبعها من مأكل كانت بمثابة مناهاة لأي مطعم.

تناولت الطعام على مائدة رخامية ايطالية الطراز ومصنوعة باليد تتسع لأثني عشر مدعواً، كانت وحدها ولكن الشيء الوحيد الذي كان ينقصها هو ميداس ثورن.

تصورته جالساً امامها على الطرف الآخر من المائدة، أو حتى جالساً بجانبها يلقمها الطعام، ما اثار في نفسها الشوق.

كان هذا الشعور من القوة، ما جعلها لا تستطيع الانكار اكثر من ذلك، انكار انها مغرمة بميداس ثورن، وشعورها هذا لم يكن مجرد انجذاب جسدي وإنما حاجة روحية عميقة.

كانت بحاجة إليه ليس بصفته رجلاً ذا نفوذ يسهل عليها طريقها في الحياة، وإنما شريك حياتها في السراء والضراء.

لا بد ان تيري قد تكهن بأنها مغرمة بميداس حتى قبل ان تذكره هي نفسها، وهذا ما جعله يحاول استعادتها إلى عصمته، ليس لأنه يحبها، ولكن لأنه لا يستطيع ان يحتمل ذهابها إلى شخص آخر.

انه لم يهتم وهي تعيش وحدها، ولكن ما ان لاح في الأفق رجل آخر حتى أخذ في ملاحقتها ليستعيدها لنفسه.

وأطلقت ضحكة عصبية، لا حاجة لتيري بأن يقلق، فكونها مغرمة بميداس لا يعني ان هذا الغرام متبادل، وفي الواقع كان الأمر على النقيض، فهي بالنسبة إليه عدوة، لا غير، حتى وان أبدى لها حباً.

الفصل الثامن

أريد ان اتحدث إلى السيد ثورن، من فضلك، المتكلمة هي جيل كايسي.»

«انني آسفة، يا سيدة كايسي، فقد غادر السيد ثورن الجزيرة مع شركائه في العمل، وذلك منذ ساعتين، هل تريدين ان تتركي له خبراً؟»

عبست وهي تنظر إلى الهاتف، لقد كان ميداس قد طلب منها ان تطمئنه إلى حالة جورجينا، مهما كان الوقت متأخراً: «لا شك ان قراره بترك فينسيرو مع شركائه قد حدث بشكل مفاجيء.

سألت الحارس: «اتعلم متى سيعود؟»

«كلا، مع الأسف.»

«عندما يعود هل لك ان تخبره بأن ابنتي أحسن كثيراً؟ لقد كان طلب مني ان اعلمه عن حالتها.»

«سأخبره، تصبحين على خير، يا سيدة كايسي.»

وضعت السماعة ببطء، ثم وضعت ساقيها تحتها على الأريكة الجلدية، إلى أين ترى ميداس قد ذهب هكذا فجأة؟ واتجهت نظراتها إلى الباب الأمامي للشقة، وكأنها تتوقع منه ان يدخل في أية لحظة، وهذه كانت فكرة سخيفة، فهو لا يعلم بأنها هنا رغم انه كان سلمها المفتاح، ويبدو انه لم يكن ينوي ان يكون هنا في نفس الوقت معها.

كان الوقت متأخراً، وربما كان عليها الذهاب إلى

الفراش ولكن حيث ان الخدم قد خرجوا جميعاً، فقد بدا المكان واسعاً موحشاً، ذلك ان مديرة المنزل والخادمة والخادم لا يبقون هنا إلا عند الحاجة، وذلك بعكس ما كان عليه الأمر في فينسيرو، وإلا فهم ينامون في جناح الخدم في الفندق، وعندما يكون ميداس موجوداً يتناوبون الوجود عند الطلب فيما لو احتاجهم.

اخذت تطوف في انحاء الشقة شاعرة بالقلق، كانت هناك عدة غرف نوم أخرى. كل منها مع حمامها الخاص، وكان هناك مطبخ فسيح مزود بكل الأجهزة الحديثة، ولا بد ان ميداس يستضيف الكثير اثناء وجوده في المدينة.

جذبت غرفة النوم الرئيسية اهتمامها اكثر من أي شيء آخر، كان احد جدرانها مبطناً برفوف للكتب من خشب الأرز، وجدار آخر عليه خزائن ابوابها مبطنة بالمرايا، كما كان الحمام الملحق بها مبطناً هو أيضاً بالمرايا، اما السرير فقد كان مقاماً على مصطبة وسط الغرفة.

كان السرير واسعاً مغرياً، وتصورت ميداس نائماً فيه ملتفاً بالملاءات، دمعت عيناها ثم خرجت من الغرفة بسرعة.

شعرت بانها متطفلة في منزل ميداس هذا، وكانت على وشك ان تغلق الباب عندما لفت نظرها البوم للصور من الجلد ملقى على منضدة بجانب السرير، وبحركة آلية تقدمت اليه وفتحته، وهي تكتم رجفة تملكتها وهي تراه يحتوي على صور يولاند ثورن. فقد كان توقيعها الأنثوي على آخر صفحة من الألبوم.

تملكها الفضول فجلست على حافة السرير، ثم وضعت الألبوم على ركبتيها وابتدأت تفتح صفحاته، كثير من

الصور كانت لامرأة شابة جميلة ذات عينين زرقاوين صافيتين وشعر أشقر، عرفت جيل انها يولاند، ولا بد ان الطفل الذي بين ذراعيها هو ميشيل الصغير ابن ميداس، كانا يبدوان نابضين بالحياة ما يجعل من الصعب على الانسان ان يصدق انهما ميتان، ولكن استمتاع يولاند بالحياة كان يبدو بشكل معتدل من خلال صورها.

اخذت جيل تدرس صورها هذه بافتتان، محاولة ان تعرف السبب الذي جعله ميداس يحبها بمثل هذا العنف الذي جعله مايزال يلوم مهنة الصحافة بأجمعها على التسبب بوفاتها منذ خمس سنوات، فالحب المتين الطاغي وحده هو الذي يبقي شعلة الكراهية دائمة الاشتعال، لم تستطع جيل ان تصدق، وهي تنظر إلى الصور، ان يولاند تريد من ميداس ان يحزن لأجلها كل هذا الوقت الطويل، فقد بدا عليها عدم القدرة على كراهية أحد، ولها مثل هاتين العينين البراقتين الصافيتين والابتسامة المشرقة، ووجدت جيل نفسها تبادلها الابتسام.

وبتقليب الصفحات وصلت إلى صور سابقة لهذه ما شعرت معه بطعنة من الغيرة تخترقها، كانت صوراً تمثل ميداس ويولاند معاً، والاثنان فتيّان جداً ويمثلان زوجين جميلين، ما شعرت معه بالألم وهي تنظر اليهما، لما كتب على حبهما هذا من نهاية مشؤومة.

قلبت جيل الصورة، ولم تكن ملصقة، فقرأت عليها (كالغورلي ١٩٧٥) هل كانت هذه مدينة المناجم حيث تعارفا؟ إذا كان الأمر كذلك، فهذا يفسر منظر يولاند الذي يمثل فتاة ريفية بريئة وأيضاً السبب في تأثرها بشخصية ميداس القوية للغاية. ففي بيئة المناجم لا بد كان لرجولة

ميداس الفطرية جانبية قوية. ورغم طموحه الذي لا بد كان قوياً في ذلك الحين، لم يكن يخطر ببال ايهما مبلغ ما سيصل إليه خلال سنوات قصيرة، أترى قد ساهم ذلك في الانهيار العصبي الذي كان اصاب يولاند وتسبب في وفاتها؟

كان هنالك مزيد من صور بدا فيها ميداس اكثر وسامة وثقة بالنفس في كل منها، حيث ان نمو شخصيته كانت تتمشى مع نجاحه. بعض تلك الصور كانت اخذت في فينسيرو، كما أدركت جيل مجفلة، وصور أخرى كان يبدو فيها في اسفار إلى مختلف انحاء العالم. وفي هذه الصور كلها، كانت يولاند تبدو في الخلفية منها، وراء ميداس عادة، وكأنها كانت ترمز بذلك إلى انسحابها من نمط حياته هذا المحموم.

شعرت جيل بلهفة على هذه المرأة الميتة، ذلك انها هي أيضاً، عندما كانت زوجة لتيري، قد أمسكت بها دوامة الحياة، حتى انها كانت تشعر أحياناً وكأنها ستجن، ولم ينقذها سوى كون والديها كانا صحافيين، ما تعودت معه على ضجيج الأخبار العالمية منذ الصغر، وفي مراهقتها، اخذ والداها المطلقان يتجاذبانها، ما جعلها معتادة على ان يكون لها بيتان اساسيان، ولم يكن هذا يعني انها كانت مستمتعة بذلك، ولكنها كانت اكثر تزوداً لمواجهة الصعاب مما كانت عليه يولاند.

كان الطفل مايكل يبدو فاتناً، واعتصر الحزن قلبها آسفاً على حياته القصيرة هذه التي انتهت بتلك الصورة القاسية، لم يكن ثمة شك في انتسابه إلى والده إذ لم يكن له ملامح والدته وشعرها الأشقر، كانت عيناه بمثل سواد عيني والده، كما كانت خصلات شعره القصير بمثل سواد الفحم.

وعندما اغلقت جيل الألبوم كانت عيناها مغرورقتين بالدموع، لقد فقد ميداس اكثر تقريباً مما بإمكان رجل ان يحتمله.

بعد أن رأت جيل الصور، لم تعد واثقة من ان الصحافة تتحمل كل اللوم لانهيار اعصاب يولاند، ولكنها أدركت حاجة ميداس للوم أي شخص أو شيء، فلا عجب في كراهيته للصحافة إلى هذا الحد، ولا شك انه ندم كثيراً على مصارحته لها بحبه على ظهر المركب، اتراه ترك فينسيرو فجأة فقط لكي يتجنب الاجابة على اتصالها الهاتفي، بعد ان ادرك انه خان مبادئه؟

اما بالنسبة اليها، فقد كان الأمر مختلفاً، فقد تعلق قلبها به، وهي تتألم اذ تدرك ان لا مستقبل لهذا الحب، ما دام ميداس متشبثاً بتحامله على مهنتها بهذا الشكل.

وإذ شعرت فجأة بالبرد رغم التدفئة المركزية في المنزل، اندفعت خارجة من غرفته، هابطة إلى غرفتها، ربما سيفيدها حمام حار في الخلود إلى النوم.

امتلأ حوض الحمام بسرعة مدهشة، فخلعت ثيابها بلهفة ثم خطت إلى الحوض لتغوص في المياه، لتريح رأسها بعد ذلك إلى الخلف مغمضة العينين محاولة الإسترخاء، ولكن هذا كان صعباً لأن صورة ميداس امام عينيها، مفكرة في حبها له وشوقها إلى ان يبادلها حبها هذا، لقد امتزج حبه بكيانها، اما بالنسبة إليه فهي ليست اكثر من عابرة طريق، حتى ولو كانت وافقته على ان لا تكتب قصة حياته، الا انها لم تكن تضمن ان لا يتغير، ذلك ان جراحه عميقة، ومهما كان من قوة حبها، فقد لا تكفي لشفائها تلك الجراح.

فتحت عينيها على اتساعهما وهي تسمع قرعاً على باب الحمام وصوت ميداس يقول: «مرحباً، يا جيل.»

أهو صوته حقاً، ام انها تصورات أوجدها حنينها اليه؟

سألته: «ما الذي جاء بك؟»

«هل لي ان اسألك نفس السؤال؟»

تملكها القلق، هل تراها تطفلت بالحضور إلى بيته هذا؟

وقالت تجيبه: «هل نسيت انك اعطيتني مفتاح بيتك؟»

«لم أنس هذا، ولكنك كنت من العناد والجفاء بحيث لم اتوقع ان اجدك هنا.»

كانت اثناء هذا الحديث قد خرجت من الحوض فأخذت تنشف نفسها وترتدي ثيابها، فقالت له: «لم اكن أريد ان يعرف تيري مكاني، وهكذا اخبرته بأنني ذاهبة إلى شقتي في بالمين، وبعد ذلك أعطيت سائق سيارة الأجرة هذا العنوان.»

«فهمت، ولكن لماذا لم تريدي ان يعرف زوجك مكانك؟»

فقالت تصحح كلامه: «بل زوجي السابق، لقد فكرت في انه قد يتبعني إلى بيتي، انه... انه يريدني ان اعود اليه.» ولم تكشف له عن أنه هو ميداس، هو السبب في عودة اهتمام تيري بها.

«وابنتك؟ كيف حالها؟»

«انها ليست من صعوبة المرض كما أرادوني ان اظن، لديها جرثومة لا تدوم معها اكثر من أربع وعشرين ساعة، وليس حمى غدد على الاطلاق.»

«انه يعرفك جيداً، فعلم انك ستذهبين اليه ركضاً إذا هو جعلك تظنينه مرضاً خطيراً، ولكنني اعجب للسبب الذي جعله يفعل ذلك.»

فقالت: «لقد اخبرتك عن السبب وهو محاولة اقناعي بالعودة إليه.»

كانت قد خرجت من الحمام، فنظر اليها وقد ارتسم التفكير العميق على جبينه: «هل هذا هو السبب الوحيد لذلك؟»

نظرت اليه مترددة: «وماذا يمكن ان يكون غير ذلك؟»

«لا أدري، ولا أريد اضاعة مزيد من الوقت على ذلك.»

عندما رأته يفك ربطة عنقه ثم يشرع في خلع قميصه سألته: «ما الذي انت فاعله؟»

أجاب: «أدخل إلى الحمام، ثم اخرج بعد ذلك.»

«إذن فسأتركك لحمامك، بينما اصنع أنا شيئاً من القهوة.»

لكنها سرعان ما ندمت على قولها هذا، ذلك ان تناول القهوة معه في هذا الوقت من الليل لن يفعل سوى ان يطيل من أمد البقاء معاً، كان عليها ان تدعه يخرج كما قال، واثناء تجهيزها للقهوة، اخذ هذا السؤال يلح عليها، لماذا لم تدعه يخرج؟

كان من المدهش شعورها انها في بيتها في هذا المطبخ الغريب، فقد وجدت كل ما أرادته وكأنها سبق ووضعته بيدها، شعرت بالبيت، تقريباً، كأنه بيتها.

«هل وجدت كل ما تحتاجينه؟»

كان هذا صوت ميداس وهو يدخل المطبخ، فأخذ قلبها يخفق بعنف.

كان شعره مازال مبتلاً وملتصقاً على رأسه اشبه بخوذة سوداء لامعة.

ألقت عليه نظرة خاطفة ثم حولت عينيها عنه إلى حيث

ماكينة القهوة، وهي تقول مخفية اضطرابها: «ارجو انني استطعت استعمال الماكينة كما يجب.»

«دعيني اسادعك.» واقترب منها فقالت: «يمكنني ان اتدبر أمري شكراً.»

«ما الذي حدث؟ ألا أبدو شخصاً خدوماً؟»

«وكيف لي ان اعرف ذلك ما دمت محاطاً بالخدم على الدوام؟»

«ولكن ليس هذه المرة.» ذكرها ذلك بأنهما وحدهما في هذه الشقة الواسعة، وازداد اضطرابها: «ها قد جهزت القهوة.»

«يمكن للقهوة ان تنتظر، ذلك ان علينا ان نتحدث يا جيل.»

لكن الحديث كان آخر شيء تريده في هذه الجلسة وهي تشعر بقلبها يخفق لوجوده، شعر بترددها فابتعد عنها خطوة، وهو يقول: «ما القضية يا جيل؟»

لم تكن تريد ان تبوح له بمشاعرها نحوه، متوسلة إليه ان يحبها، عليها إذن ان تنساه، كان هذا مؤلماً للغاية، ولكن عليها ان تواجه الواقع فقالت تجيبه: «ليست هناك قضية، انني متعبة فقط.»

«ربما معك حق، فقد كان نهاراً شاقاً بالنسبة الينا، نحن الاثنين، وخصوصاً اليك، كان عليّ ان أدرك ان القلق على ابنتك لا شك قد أرهقك.»

كان شرحه هذا قد اقنعه وحده، ولكنها لم تقلق عليه، كل ما كانت تريده هو ان يتركها وحدها، وهنا بجانبه كان من الصعب عليها التفكير بوضوح، فقالت وهي تتصنع من التعب اكثر مما تشعر به: «هل لديك مانع من ان لا اتناول القهوة معك؟ انني أريد ان اذهب إلى فراشي.»

حدثتها عيناه بأنه كان بإمكانها ان تقول ذلك بلهجة افضل، ولكنه لم يعلق على ذلك وهو يقول: «اظن ان علينا نحن الاثنين، ان نذهب إلى النوم، انني سأطلب جناحاً في الفندق لنفسي.»

«ولكن لماذا لا تنام في غرفتك هنا؟»

«انها ليست فكرة حسنة، كما ذكرت الآن لتوك، بتصرفك هذا.»

إذن فقد كان تذكر أخيراً السبب الذي يمنعه من ان يحبها، وبعد طول وقت. شعرت بشيء من خيبة الأمل لعدم رغبته في النوم في شقته هذه. فهذا سيكون مصدر سلوان لها إذ تحس بأنه ينام قريباً منها، رغم ان ابتعاده عن البيت قد يمنحها راحة اكثر.

واستدارت إلى جانب: «تصبح على خير، إذن.»

«تصبحين على خير، يا جيل.»

لكنه أوقفها عند باب المطبخ ليقول لها: «مازلت أريد تبادل ذلك الحديث معك، يا جيل، هل تتناولين الغداء معي غداً، ان لدي اجتماع عمل طوال فترة الصباح وإلا لجعلت الموعد عند الإفطار.»

نظرت إليه وقد تمالكت نفسها، ثم قالت: «لقد وعدت جورجينا بأن امضي الصباح معها، ولهذا لا استطيع العودة في وقت الغداء إذا كنت سأمضي بعض الوقت معها.»

«إذن، ماذا بالنسبة إلى العشاء؟»

أي حديث سيتبادلانه يمكن ان يغير الأشياء؟ أتراه سيقدم اليها وضعاً دائماً بصفة حبيبة؟ لقد كانت أدت دورها خلال الأسبوع الماضي بشكل جيد. ولكن هناك فرق بين تأدية

دور الحبيبة، وان تصبح حبيبته فعلاً، عالمة انه لا يحبها، لا بأس انها لا تستطيع ان ترفضه كلياً، فقالت: «لا أدري.»

«يمكنني ان اقنعك.»

«حسناً، فليكن العشاء إذن.» سمعت نفسها تقول ذلك وقلبها يخفق، حالما تظهر قصته في صوت سيدني سيتذكر الفجوة التي بينهما، ولكن العشاء سيكون مساء الغد، فلماذا لا تستمتع بصحبته كلما امكنها ذلك؟

وقبل ان تفقد سيطرتها على نفسها، فتتوسل اليه ان يمضي ليلته في شقته هذه، هربت إلى غرفتها حيث استلقت مستيقظة على سريرها متوترة، إلى ان سمعت صوت انغلاق الباب الأمامي خلفه، عند ذلك فقط استطاعت ان تنام.

رغم انها ذهبت إلى النوم في وقت متأخر عن عادتها، فقد استيقظت في موعدها المعتاد وهو السابعة والنصف، نظرت حولها بارتباك، أين هي؟ ثم تذكرت فهي في شقة ميداس، وهي ستمضي كل فترة الصباح مع ابنتها، وهذه الليلة ستستمتع بصحبة ميداس، فماذا يمكنها ان تنتظر اكثر من هذا في يوم واحد؟

اغتسلت وتناولت افطارها وقد ارتفعت معنوياتها، مستمتعة برفاهية تجهيز مديرة المنزل لافطارها وتقديمه لها، كان عجيباً مبلغ لذة بيضة مقلية حين يعدها ويغسل الأواني شخص آخر.

في الوقت الذي استأجرت فيه سيارة إلى شقتها في بالمين، واستقلت سيارتها، كان الوقت قد اصبح متأخراً عما كانت تحب، وشعرت بالذنب وهي تجاهد في سبيل الحفاظ على السرعة المحددة وهي تسير نحو ضواحي سيدني.

عندما وصلت إلى منزل تيري لم تر له أثراً، تنهدت بارتياح والمربية كاي تقودها إلى الداخل، لم يكن مزاجها هادئاً لمبارزة كلامية مع تيري هذا النهار، بعد شعورها هذا نحو ميداس، اخذت تتعجب كيف امكنها ان تحب شخصاً له شخصية تيري كايسي التافهة السطحية.

قالت تسأل المربية وهذه تقودها إلى غرفة جورجينا: «ماذا قال الطبيب؟»

«لقد وصف لها مضاداً حيوياً، ولكنه قال ان بإمكانها ان تنهض من الفراش هذا النهار إذا شاءت، لقد انخفضت حرارتها، فأنت لن تتكهني أبداً بأنها كانت مريضة.»

قالت جيل ضاحكة: «لا بد انها متلهفة على النهوض.»

فأومأت المربية قائلة: «لقد اخبرتها ان بامكانها ان تنهض حال وصولك.»

نظرت جيل حولها بضيق: «هل ذهب السيد كايسي إلى عمله؟» وكانت لهجتها تدل على انها ترجو ذلك.

ترنحت خطوات المربية: «انه في الواقع يعمل هذا الصباح في المنزل، لقد جاء احد مساعديه والاثنان يعملان الآن في المنزل الصيفي.»

«أهي امرأة؟»

بدت المربية كارهة للاجابة ولكن سؤال جيل لم يترك لها خياراً فقالت: «جينيفر غولدين، هل تعرفينها؟»

أومأت جيل بحركة آلية، كانت تعرف المرأة، وهي ذات شعر طويل حريري أشقر اللون، ولها قوام فتاة مراهقة، كانت النموذج الذي يعجب تيري بالضبط، وتملكها شعور باليأس، ذلك انها رأت ان تيري لا يمكن ان يتغير، ولكن كيف

بامكانه ان يسلي نفسه مع آخر مساعدة له بينما ابنته مريضة وبحاجة إليه؟ استحال يأسها إلى غضب ولكنها جاهدت في كبح شعورها وهي تقول: «أريد ان أرى جورجينا على انفراد أولاً.»

«طبعاً، يا سيدة كايسي، سأصنع لنفسي فنجان قهوة، أتريدين انت؟»

«اشكرك، ثم لا تناديني باسم السيدة كايسي بعد الآن، قولي جيل فقط.»

وبهذا القول فصمت آخر رباط بينها وبين تيري، ليبقى الرباط الوحيد الذي لا مناص منه وهو ابنتهما، ولكنها بشكل ما، وبأية طريقة كانت ستستعيد جورجينا يوماً ما، وقد اصبح هذا الآن اكثر ضرورة من أي وقت مضى، ومن حسن الحظ انها لم تدع ميداس يقنعها بأن تتخلى عن كتابة الريبورتاج.

كانت جورجينا وهي تبدو حبيبة للغاية في قميص نومها الأبيض، كانت تبني برجاً بحجارة قرميدية على أرض الغرفة عندما دخلت جيل، أشرق وجهها وهي تهتف: «ها قد جئت، يا ماما.»

اخذت جيل الطفلة بين ذراعيها: «لقد وعدتك اليس كذلك؟ هل اخلفت يوماً ما وعدي لك؟»

مطت الطفلة شفتها السفلى، ثم قالت: «كلا، ولكنك لم تكوني هنا ليلة البارحة، لقد استيقظت وناديتك كثيراً.»

تملك الهلع جيل، كيف بإمكانها ان تشرح الوضع بينها وبين تيري لطفلة في السادسة؟ «كنت اخبرتك انه لم يعد بامكاني النوم هنا، بعد الآن، ولكنني قلت لك انني سأعود اليك عند الصباح، وها قد جئت.»

«ان الأمر ليس هو نفسه.» وعلى طريقة الأطفال في تغيير الموضوع، أشرق وجهها وهي تقول: «ما معنى كلمة اهمية يا ماما؟»

فجلست جيل على الأرض بجانبها وهي تجيب: «لا أدري، كيف كان استعمال هذه الكلمة يا حبيبتي.؟»

«عندما تأخرت في الحضور، قال بابا ان لديك أشياء اكثر أهمية من الركض خلفي.»

جمدت جيل في مكانها، لقد ابتدأت خطة تيري الآن في تحويل جورجينا ضدها، فقالت: «كلمة أهمية تعني الشيء المهم اكثر من غيره بالنسبة إلى الشخص، وبابا مخطىء، فليس لدي شيء اكثر أهمية منك، لقد أمضيت الليل بطوله قلقة عليك وأنا اتساءل عن حالك.»

أومأت جورجينا وقد بدا عليها الرضى: «آه، هذا حسن إذن، هل ستساعدينني على بناء بيت الآن؟»

لقد مرت الأزمة، ولكن المضمون مازال يعذب جيل، عليها ان تجاهد في ان تزيح قلقها جانباً، وبناء البيت يساعد على ذلك، وعندما انتهى البناء اخذت جورجينا وقد تملكتها السعادة، تفرز الغرف لكل شخص تعرفه، والدها، كاي، وعدد من رفيقات الدراسة، ولكن جورجينا قطبت جبينها حين وصلت إلى والدتها. «انك لا تنامين هنا، فهل مازلت بحاجة إلى غرفة في منزلي؟»

اغرورقت عينا جيل بالدموع، «اعتبري المنزل هو قلبك، يا حبيبتي، فأنا دوماً بحاجة إلى غرفة فيه.»

«حسناً، يمكنك ان تأخذي هذه الغرفة إذن.» وأشارت إلى غرفة منزوية في الطابق الثاني من البناء: «هذه غرفة زائدة.»

فسألتها جيل: «ومن سينام فيها؟»

قطبت الطفلة جبينها باهتمام، ثم اجابت: «صديقة والدي.»

تملك جيل الذعر: «أي صديقة يا حبيبتي؟»

«السيدات اللاتي يأتين إلى هنا معه، لا استطيع ان اقول أية واحدة لأنهن يتغيرن.»

كان هذا كثيراً، أي نوع من التربية ستحصل عليه جورجينا إذا كانت تعلم الآن ان لدى والدها صديقات كثيرات وانهن يتغيرن؟ على ذلك ان يتوقف، وكلما كان ذلك بسرعة، كان أفضل.

دخلت المربية كاي بصينية القهوة، فوقفت جيل: «هل لديك مانع يا كاي، في البقاء هنا عدة دقائق؟ عليّ ان أرى تيري.»

بدا الإضطراب على المربية: «هذه ليست فكرة جيدة، فهما مشغولان جداً هذه اللحظة، فقد حاولت ان آخذ اليهما القهوة، فكاد يقطع رأسي.»

جعل هذا التعبير المجازي جورجينا تغرق في الضحك، ولكن مزاج جيل لم يكن يحتمل الضحك، «لا يهمني مقدار انشغالهما، فقد حان الوقت لكي يفهم تيري معنى المسؤولية.»

اما من اين واتتها الشجاعة للاندفاع إلى البيت الصيفي وطرق بابه بكل عنف، فهذا ما لم تكن تعرفه، فقد كان بامكان تيري دوماً ان يرهبها، من قبل اما الآن على كل حال، فقد خرج عن حده، فأن يلهو مع صديقاته على حساب تنشئة ابنته بشكل محترم، هو شيء لا يمكنها احتماله، وسمعت من الداخل جواباً مغمغماً: «تباً لك يا كاي.»

«هذا انا يا تيري، وليس كاي.»

«آه، لقد نسيت انها قادمة.» سمعت صوت تيري واضحاً من خلال الباب الخشبي، وابتسمت جيل بعبوس وهي تسمع ضجة متدافعة من الداخل.

بعد لحظات شق تيري الباب قليلاً، كانت ملابسه مشعثة وقد بدا عليه الدوار، وكان بؤبؤا عينيه متسعين اكثر من العادة، وهو يغمغم قائلاً: «ما الخبر؟»

ومن فوق كتفه، رأت جيل مساعدته وهي تحكم ملابسها حولها، كان واضحاً ما كان يدور هناك، ولكن لم يكن عملهما ما جعلها تهتز من الأعماق وانما الرائحة اللاذعة، وسحب الدخان التي كانت تملأ الغرفة.

قالت بهدوء تام: «لا بأس، يا تيري، كنت فقط أريد ان اخبرك بأنني ذاهبة.»

بدا عليه الاجفال: «أهذا كل شيء؟ لا بأس، إلى اللقاء إذن.»

صفق الباب في وجهها، بينما قهقهة المرأة تتابعها، وظنت انها سمعت كلمات مثل: «يا لها من كلبة حمقاء.» ولكنها لم تكن واثقة، ولكن هذا لم يهمها على كل حال، فقد أدركت بالضبط ما عليها ان تفعله الآن.

لا يهم ما ستقوله المحكمة فليس هناك طريقة تجعلها تترك طفلة بريئة في السادسة بصحبة رجل يتصرف بعدم مسؤولية مثل تيري، حتى ولو ذهبت إلى السجن لأجل ذلك، فهي ستحمي ابنتها من سلوكه الفاسد المتهتك.

عندما دخلت جيل الغرفة بخطوات واسعة، بدا الخوف على المربية كاي، فنظرت من فوق كتف جيل وكأنها تتوقع

تيري مندفعاً خلفها ثائر الغضب يحاسبها، ثم سألت: «هل كل شيء على ما يرام؟»

فقالت جيل بهدوء: «كل شيء بأحسن حال، كنت أريد ان اخبر تيري قبل ان اخرجها هذا النهار معي.»

«تخرجينها؟ ولكن...»

فقاطعتها جيل قائلة: «بالضبط، سألبسها ثيابها بينما تضعين انت لها بعض الملابس وأدويتها في حقيبة، وسأحضر بعض العابها المفضلة ثم نذهب.»

تذهبان إلى أين؟ فكرت جيل في ذلك بذعر، بينما كانت المربية تمتثل لما طلبته منها، ليس بامكانها ان تأخذ جورجينا إلى بيتها فعندما يعود تيري إلى عقله سيكون بيتها أول ما يخطر له الذهاب إليه.

كان هنالك حل واحد فقط، فهي مازالت تحتفظ بمفتاح بيت ميداس، انها ستذهب إلى هناك، وسيعرف ميداس ما عليه ان يصنع.

الفصل التاسع

هذه المرة لم تكن بها حاجة للتعريف بنفسها، فحالما وصلت إلى فندق سيرياس، تعرفوا إليها فرافقوها إلى المصعد الخاص الذي صعد بها وبابنتها إلى الطابق الأعلى.

ابتسم عامل المصعد للطفلة المليئة بالإستثارة: «اتحبين الركوب في المصاعد؟»

«نعم، ان ذلك بمثل جمال حديقة الحيوان.»

تبادلت جيل والعامل الابتسام، ولم تنتبه إلى فداحة ما صنعت إلا بعد ان اصبحت داخل الشقة... فخارت ركبتاها.

بصفتها صحافية، كانت كتبت عن الآباء الذين يختطفون اولادهم دون ان تفهم مبلغ اليأس الذي كان ألجأهم إلى ذلك، لقد اعماها ذلك عن كل شيء ما عدا الحاجة إلى حماية طفلتها.

منذ اللحظة التي أدركت فيها ان تيري وصديقته كانا يدخنان الممنوع، لم تتوقف لتفكر، وهكذا كان وضع جورجينا في سيارتها ثم احضارها إلى الفندق، هو التجاوب الوحيد مع لهفة الأمومة ومشاعرها العميقة فيها، ما جعلها غير قادرة على كبحها اكثر مما فعلت.

وإذ احست جورجينا بتعاسة والدتها، وضعت يدها في يد والدتها قائلة: «ما أجمل هذا البيت انني احبه.»

ومن خلال شكوكها ومخاوفها، استطاعت جيل ان تومىء باسمة: «نعم، انه كذلك. انه لصديق لنا قال ان بإمكاننا ان نقيم فيه.»

وكان في هذا شيء من المبالغة لأن دعوة ميداس لها لم تتضمن جورجينا، ولكنه عندما يعلم بورطتها فهو لن يمانع، وقد يكون على معرفة بأحد رجال سلك القضاء الذي قد ينصحها بما عليها ان تفعل، ان بعض الآباء يهربون بأبنائهم بكل بساطة، تمضي السنوات مختبئة، فهي لن تكون حياة مجدية لها ولجورجينا، أما البديل لذلك وهو إرغامها على تسليم الطفلة لتيري، فهذا ما رفضت التفكير فيه.

كانت جيل خائفة من ان تضع طفلة بين خدم ميداس، ولكن ما كان لها ان تقلق، فبناءً على ما اخبرتها به مديرة المنزل، فان شقيقة ميداس وأولادها هم زوار نظاميون من تسمانيا، ولديهم هنا ما يريدون من الدمى والألعاب ووسائل التسلية. وهكذا استقرتا بسرعة، بينما دلفت جورجينا بلهفة إلى صندوق اللعب وذكرت صيحاتها جيل بصباح العيد حيث يتصاعد هتاف الأولاد فرحاً بهداياهم.

«انظري هذه الدمية وانظري يا ماما، ان لديها الوفاً من الثياب.»

«انها جميلة جداً يا حبيبتي.» اجابتها جيل بذلك بذهن غائب، فقد كان بالها مشغولاً للغاية بمشاكلها عن ان تهتم بالدمية، وأرضت ابتسامتها جورجينا التي سرعان ما جلست على الأرض تلبس الدمية ثيابها.

بعد ان دفعت جيل أجرة سيارة الأجرة أمس، التي احضرتها من منزل تيري أخذت نقودها في النفاد، وكان

يوم دفع الأجور قد فاتها اثناء وجودها في فينسيرو ولهذا لم تكن واثقة من المبلغ الذي تبقى لها في حسابها في المصرف، انها ستحتاج نقوداً لها ولجورجينا، ومقدمة اتعاب المحامي الذي ستكلفه بتنقية مستقبلهما، ان ميداس قد يقرضها بعض النقود إذا هي طلبت منه ذلك، ولكنها لا تريد ان تطلب منه لئلا يظنها تستغل صداقته.

وما لبثت ان نهضت لكي تتصل هاتفياً، فسألتها جورجينا: «هل ستتصلين بوالدي؟» ولكن تيري كان آخر من تفكر جيل بالاتصال به فقالت: «كلا، يا حبيبتي، اريد ان اتحدث إلى رئيسي في العمل، فقط لأرى كيف يدبرون أمورهم من دوني.»

اجابها بيل على الفور، سائلاً إياها حالما عرف صوتها: «كيف حال المراسلة الصحافية اللامعة؟»

فشعرت بالضجر انه يظنها تريد ان تعلن له نجاحها في مهمتها، بينما هي في الحقيقة، لم تفكر في ذلك الريبورتاج لحظة واحدة وذلك منذ كتبت تلك المسودة منه في فينسيرو، والتي كانت ملقاة في قعر حقيبة ملابسها الصغيرة، فقالت تجيبه متصنعة المرح: «ان صحافيتك اللامعة قد أفلست، هل تعلم ما اذا كان آخر شيك لدي قد وضع في حسابي في المصرف؟»

فقال بدهشة اثارت استغرابها: «ما رأيك؟ هناك منحة ضخمة معه.»

ما الذي يعنيه هذا؟ «منحة؟ أليس هذا شيئاً سابقاً لأوانه؟»

«كلا، فقد أرسل زوجك نسختك الليلة البارحة، وهكذا

جعلت المطبعة تنشرها اليوم، انه مقال مثير للغاية، والناشر قد اصبح بسببه فوق السحاب.»

زوجها قد أرسل النسخة؟

سألته: «هل جاء تيري ليراك؟»

«نعم، قال ان طفلتك مريضة فلم تستطيعي تركها لتحضري المقالة بنفسك، بصراحة، ان بامكانها ان تصل في قافلة جمال ما دامت بهذه الجودة.»

ما الذي يتحدث عنه، هذا الرجل؟ انها لم تكتب أي مقالة كما انها طبعاً لم تطلب من تيري ان يوصلها بدلاً منها، وشعرت برأسها يدور، فقالت بغباء متشبثة بالشيء الوحيد الذي بدا لها واضحاً: «انه زوجي سابقاً.»

«قهقه المحرر ضاحكاً: «أحقاً؟ انكما عدتما إلى بعضكما البعض. إن زوجك شاب ممتاز أليس كذلك؟»

وإذ لم تستطع ان تقول شيئاً آخر، وافقته على ان تيري هو حقاً شاب ممتاز ثم وضعت السماعة.

بعد ذلك بلحظات كانت تبحث في حقيبتها، ملقية الملابس على السرير، لتقبلها في النهاية رأساً على عقب قبل ان تقتنع بأن مسودة المقال قد اختفت، لا بد ان تيري قد اخذها حين استلم الحقيبة من دانييل براساد، وعندما سلمها الحقيبة، لم تفكر في تفقد محتوياتها.

ولكن ان يكتب الريبورتاج ويسلمه بصفته منها؟ لم تستطع ان تصدق ان بامكان تيري ان يقوم بعمل كهذا، ان عليها ان ترى المقالة نفسها.

وافقت مديرة المنزل على رعاية جورجينا، عارضة تقديم غداء لها، بينما خرجت جيل لكي تحضر نسخة من

صحيفة صوت سيدني، كان بامكان الفندق ان يرسلها اليها، كما قالت المرأة، ولكن جيل كانت من اللهفة، بحيث لم تشأ الانتظار لكي ترى المقالة.

كان في ساحة الفندق حانوت لبيع الصحف وانتظرت إلى ان اصبحت خارج الباب لتفتح الصحيفة، وعندما وصلت إلى المقالة شهقت شاعرة وكأنها ستمرض، فقد شغل الريبورتاج صفحتين، وكان مصحوباً بعدة صور من ملف ميداس وصورة من الجو لفينسيرو.

كان هنالك عمودان سببا لها ألماً مبرحاً، فقد وصفا بالدقة، تقدم صناعة الماس التي كان ميداس قد وثق بها فشرحها لها. كل ذلك كان هناك من طريقة إثارة غاز الكربون الهيدروجين، بعد استعمال البلاسما، لانتاج الماس، إلى استخدامه عملياً وخطط ميداس الصناعية.

اهتزت الصفحات بين اصابعها، لم تأت أي من هذه في دفتر ملاحظاتها، فكيف عرف تيري أسرار طريقة الانتاج هذه؟ اتراه قدم رشوة لأحد شركاء ميداس؟ كان هذا يبدو بعيد الاحتمال حيث انهم هم الذين وضعوا حظراً على نشر هذا الأمر، ولكن كيف استطاع تيري ان يعرف كل هذا؟

«انه رائع، أليس كذلك؟»

استدارت لتجد تيري ينظر من فوق كتفها، كان حليقاً بالغ الأناقة، ما بدا من الصعب مقارنته بذلك المخلوق الأشعث الزائغ النظرات الذي رأته في البيت الصيفي هذا الصباح.

سألته بصوت أبح: «ما الذي تفعله هنا؟»

«اقتفي أثرك، لم يكن من الصعب استنتاج معرفة المكان

الذي ستذهبين إليه.» وارتدت نظراته إلى المقالة التي بين يديها. «هل اعجبك عملك هذا؟»

«انك تعلم ان هذا ليس عملي، فأنا لم اكتب هذا.»

«ولكن ميداس ثورن لن يعلم هذا، أليس كذلك؟»

استحال ارتجافها إلى هدوء بالغ، وفجأة، ادركت ماذا يحدث، لقد كان تيري يعلم ان ميداس لم يكن يريد نشر أي شيء عن عمله قبل ان يصبح جاهزاً، ولهذا وضع المقالة باسمها مدركاً بأن ذلك سيدمر أي علاقة بينهما، وما كان تيري ليجد طريقة اكثر فعالية من هذه للتفريق بينها وبين ميداس.

شعرت بقلبها وكأنه حجر في صدرها، قد تكون ظاهراً، لحماً ودماً، ولكنها في داخلها كانت بمثل برودة الصخور الرخامية التي تزين صالة الفندق، لقد قتلها تيري بعمله الأثيم هذا، ذلك ان ميداس لن يصدق قط انها لم تغدر به، واحتقاره لها لن يكون له حدود.

قالت: «سأطلب ان تنشر الصحيفة تراجعاً عن اقوالها.» ولكنها كانت تدرك ان بيل، وهو المزهو بهذا المقال، لن يقبل ذلك أبداً، حتى ولو صدق شرحها لما حدث.

ابتسم تيري لها بمكر: «نحن الاثنان نعلم انك تضيعين وقتك، هيا بنا نتناول فنجان قهوة ونتحدث عن هذا.» وقبض على معصمها، فقالت من خلال اسنان مطبقة: «ليس لدينا ما نتحدث عنه.»

فهمس في اذنها قائلاً: «ماذا بالنسبة إلى عملية الاختطاف؟» وكأن من يراه يظنه يغازلها حاولت ان تشد يدها من يده، لم يكن ثمة طريقة للهرب منه دون ان تلفت

اليهما الانظار وهذا ما لم تكن تريده، وجورجينا فوقهما بعدة طوابق، فإذا هي استفزته فبامكانه ان ينادي الشرطة الذين سيرغمونها على تسليمه جورجينا تبعاً لحقه القانوني.

«حسناً، سآتي معك، ولكن ليس بإمكاني البقاء طويلاً.»

فسألها بحقد: «هل حبيبك ينتظرك في بيته في الطابق الأعلى؟»

«هذا ليس من شأنك.»

«ولكن جورجينا من شأني وانا اريد استعادتها، وافضل ان يكون ذلك معك، ولكن من دونك إذا انت أصررت على تصعيب الأمور.»

جمد دمها في عروقها، ولكن لا فائدة من مخاصمته، وهكذا كبحت رداً قاسياً وتركته يجرها إلى مقهى في الناحية الأخرى من صالة الفندق قد صممت بشكل مقهى على الرصيف، بمناضدها وكراسيها المصنوعة من الحديد المطاوع وذلك تحت مظلات ملونة جميلة الشكل.

اختار تيري مائدة في زاوية ثم سحب كرسياً لها لتجلس عليه، جلست وهي تشعر بدوار ولا تكاد تسمعه وهو يأمر بقهوة لهما معاً، لم يكن في ذهنها سوى حقيقة واحدة وهي ان تيري قد دمرها، وذلك بجعلها تبدو وكأنها غدرت بعهدها لميداس، ما ضيع معه مستقبلها، لم يعد ثمة سبيل إلى ان تطلب من ميداس حل مشاكلها معها، سألته: «كيف فعلت ذلك؟»

«اتعنين كتابة المقال؟ ان ملاحظاتك جعلت الأمر سهلاً،

فأنا نظمتها فقط ثم بيضتها، ألا تعلمين انني اكتب الكثير من نسخ الأخبار التي اذيعها؟»

«اني لا اعني المقالة، وانما عن صناعة الماس، فذلك لم يكن بين ملاحظاتي المدونة.» ذلك انها لعلمها بأن ميداس لم يشأ ان ينشرها قبل ان يصبح مستعداً لذلك، لم تضمن ذلك الجزء في مسودتها، كان فقط في شريط التسجيل، والشريط ما يزال في فينسيرو حيث تركته.

بدا بريق خطر في عيني تيري: «انك تعلمين ان عليك ان لا تسألي الصحافي من اين استقى معلوماته، وبجانب ذلك قد تكونين تكلمت اثناء نومك.»

فقالت: «هذا يلزمه نومنا معاً في غرفة واحدة، وهذا لن يحدث طوال ما انا حية، لقد تدخل جيف بولن في هذا الأمر، أليس كذلك؟»

وعرفت الجواب من نظراته، فتابعت تقول: «أليس هو الذي كتب لك المقالة؟»

«دعي لي شيئاً من الفضل، فأنت تعلمين ان بامكاني جمع كلمتين معاً.»

لم يكن ثمة فائدة في التهكم على زهوه بنفسه، وبجانب ذلك ما أهمية الوسيلة التي استخدمها لاخراج الريبورتاج؟ وطالما ان ميداس يعتقد بأنها هي المسؤولة، فان الحقيقة لا تغير الأمر كثيراً.

اخذت تحرك قهوتها بذهن غائب وقد بدا اليأس في هبوط كتفيها.

وضع تيري السكر في قهوته بسخاء، مضيفاً اليها القشدة، كان واضحاً انه لم يكن يهتم بزيادة وزنه، كما رأت

جيل ان طريقة حياته قد اخذت تظهر سمنة في فكيه ووسطه، ثم نظرت إلى وجهه تسأله وقد ظهر عليها التعب: «ما الذي تريده مني؟»

نظر في عينيها قائلاً: «لقد سبق واخبرتك، اريد ابنتي، والاختطاف جريمة يعاقب عليها القانون حتى ولو كنت والدتها، لهذا من الأفضل ان تخبريني اين هي قبل ان تتطور الأمور إلى الأسوأ.»

هل من الممكن ان تكون الأمور أسوء مما هي الآن؟

«لا استطيع ان اخبرك أين هي، ولكنها في أمان، انها اكثر اماناً منها معك ومع تلك المخلوقة البغيضة التي كانت معك هذا الصباح، إلى متى تظن بإمكانك الاحتفاظ بالوصاية على الطفلة عندما تسمع المحكمة بذلك؟»

«عليك ان تثبتي ذلك، أولاً.»

«سأطلب استدعاء جينيفر غولدن للشهادة.»

فضاقت عيناه: «انها لن تنطق بكلمة واحدة تدينني، فعملها ومستقبلها يعتمدان على رضائي عنها.»

انها دوماً نفس القصة.

«اخبرني من انت لكي تسحر كل تلك الفتيات لكي تجعلهن يمتثلن لأوامرك؟»

«انني لا اسحرهن ولكن الأمر برغبتهن، حتى انت كنت كذلك ذات يوم.»

حولت عينيها عنه ساهمة، ذات يوم... انها تعرف ذلك اليوم والذي كانت فيه ضعيفة إزاء فتنة تيري كغيرها من الأخريات، وقالت تدافع عن نفسها: «كنت صغيرة السن، ولن اكون بريئة إلى ذلك الحد الأحمق، بعد الآن.»

اخذ يخطط بملعقته على غطاء المائدة اشكالاً وهو يقول: «اتعلمين؟ انك فشلي الوحيد.» ونظر في عينيها بعينين متألقتين اخافتاها: «ان في نيتي ان استعيدك، يا جيل.»

«وما الفائدة ما دمت مغرمة بشخص آخر؟»

«اتظنين حقاً انه سيبادلك نفس المشاعر بعد ان يقرأ مقالة صوت سيدني.»

رفعت رأسها بكبرياء قائلة: «سواء احبني أم لا، فلا بد انك مجنون إذ تظن انني سأعود اليك، بعد هذا الذي فعلت.»

«سرعان ما ستجدين نفسك دون خيار، اذعني، يا جيل انني سأحارب أي رجل يتجرأ حتى على النظر اليك، ألم ابرهن على ذلك هذا النهار؟» ومال إلى الأمام، «يسري الأمر على نفسك وعودي إليّ، انك بذلك تحصلين على جورجينا وتتخلين عن حياتك المتقشفة هذه.»

«افضل الموت جوعاً على ذلك.»

«قد تصلين إلى هذا الحد، ان ثورن لن يقبل بك بعد الآن بعد هذه المقالة، وفي اللحظة التي تظهرين فيها في الخارج مع ابنتي، سأكون بالانتظار والقانون بجانبي.»

«ان ميداس ليس من السطحية كما تظنه.»

بدت على شفتي تيري ابتسامة ذات معنى ادخلت الخوف إلى نفسها. «ربما هو كما تقولين ولكنه كما اخبروني، لن يكون موجوداً لكي يهتم بك، وذلك بعد فترة قصيرة.»

تقبضت اصابعها على حافة المائدة بشدة: «ماذا تعني؟ هل ثمة خطر يحدق به؟»

ألقى تيري ببعض النقود على المائدة: «انتبهي إلى نشرة الأخبار التي سأذيعها هذه الليلة، عند ذلك ستعلمين كل شيء.»

قفزت واقفة وهي تهتف به: «تيري، انتظر، هل هناك شخص ينوي إنزال الأذى بميداس؟»

«هذا ما يبدو، راقبي اذاعة النشرة.» ثم ذهب بينما اخذت تحاول جهدها استيعاب ما قال، ان تيري يعلم شيئاً عن تهديد ما لميداس، وهي لن تعلم شيئاً قبل ان تسمع برنامج هذه الليلة الإذاعي.

وعادت ادراجها إلى الطابق الأعلى وهي ترتجف.

عندما دخلت إلى المطبخ، كانت جورجينا تنهي غداءها، فقالت لها: «انه دجاج وفطائر، لذيذ جداً.»

أخذت جيل تعبث بشعر ابنتها: «انني مسرورة لاستمتاعك بالطعام، يا حبيبتي.»

كانت من القلق، بحيث لم تستطع ان تأكل شيئاً، فرفضت الغداء الذي عرضته عليها مديرة المنزل إلى أي حد يمكن للمرء ان يثق بمعلومات تيري؟ وهل ميداس في خطر حقاً؟ واتجهت إلى الهاتف.

كان أول اتصال هاتفي لها بميداس، فأجابت سارا برينت التي قالت انها لا تعرف مكان ميداس: «لقد جاء رجلان ثم خرج معهما.»

تملك اليأس جيل، لماذا يراوغ الآن من بين كل الأوقات؟ وطلبت من سارا ان تبلغ ميداس خبراً منها حالما يتصل بها، ثم اقفلت الخط.

كما انها لم تستفد من الاتصال ببيل داوني، أيضاً إذ قال لها: «لا شيء عنه في دائرة الاعلام، تابعي تحرياتك، فسيكون لهذه القصة لو تحققت، وقع هائل.»

كيف بامكانها ان تفعل شيئاً غير متابعة هذا الخبر؟

والذي يخص الرجل الذي تحب؟ شكرت بيل دون ان تظهر له ذعرها، ثم اقفلت الخط. ربما الأمر كله مجرد خدعة من خيال تيري لكي يسبب لها القلق، ذلك انه إذا كان هناك خطر حقيقي يحيط بميداس، فلا بد ان يكون الخبر قد تسرب الآن، ان دائرة الاعلام صامتة، ربما تعلم الشرطة شيئاً.

لم يفدها الضابط الذي اجاب على اتصالها الهاتفي، بشيء وقد بدا الحذر في صوته، ولكنه لم ينكر ان هناك مشكلة، كما لاحظت، فهو اما انه لا يحب الصحافيين، وإما انه يعرف شيئاً لا يريد الادلاء به، ربما يفرضون حظراً على وسائل الاعلام، ولكن من عادتهم ان يشاركوهم الأخبار قدر امكانهم، وكثير من قادتهم كانوا صحافيين، وبهذا يميلون إلى التعاون معهم.

هذا يترك امكانية ان يكون في الأمر خديعة، هل من الممكن ان يكون تيري بهذه القسوة؟ نعم، هذا ممكن، خصوصاً إذا كان الأمر يهمها.

لم يكن امامها شيء آخر تقوم به سوى انتظار نشرة إذاعة تيري الليلية، فإذا لم يكن هناك ذكر لميداس، فالقصة إذن من وحي خيال تيري للانتقام منها.

امضت قسماً من الوقت في اللعب مع جورجينا، ثم اخذتا تتفرجان على مسرحية مدرسة اللعب معاً على شاشة التلفزيون، كانت هذه الأوقات التي تمضيها مع ابنتها، هي اثمن شيء لديها، في العادة، ولكنها هذا النهار لم تكد تستطيع التركيز، وعندما اعطت جورجينا دواءها ووضعتها في السرير لتأخذ غفوة، تنهدت بارتياح، لقد اصبحت جيل أخيراً، وحدها مع افكارها المعذبة.

كلما حاولت تركيز افكارها، إذا بهذه تتشتت. فالتفكير في ما عليها ان تفعله هي وجورجينا، اصبح مستحيلاً، ولكنها لن تستطيع البقاء هنا اكثر من ذلك، خصوصاً بعد ان رأى ميداس المقالة، فإلى اين تذهبان بحيث لا يعثر عليهما تيري؟

انتفضت حين سمعت المفتاح يتحرك في قفل الباب الأمامي، أهو ميداس؟ وخارت ركبتاها عندما دخل بوجه عاصف، فقالت له بصوت بدا فيه الارتياح: «من حسن الحظ ان تلقيت رسالتي.»

«أي رسالة؟»

«ألم تعد إلى مكتبك؟ لقد كنت أخبرت سارا...» وسكتت وهي ترى نظراته تنصب على الصحيفة الملقاة مفتوحة على المنضدة، إذن فهذا هو سبب قدومه إلى هنا، وسألته: «هل رأيتها؟»

«نعم، لقد رأيتها فقد تأخرت أنت اذا كان هذا ما حاولت تنبيهي إليه.»

شعرت لكلماته هذه بمثل طعنة السكين، «انها ليست من عملي اقسم لك.»

نظر اليها باحتقار: «انك نسيت انني رأيت مسودتها الأولى.»

«لقد كانت مؤسسة على مقالتي، ولكن تيري قد أكلمها.»

«وما أهمية ذلك؟ ليس لدي وقت للحديث عنه الآن.» واتجه نحو السلم.

«انتظر. ان رسالتي لا تتعلق بالمقالة، عندما جاء تيري ليتحدث عنها، ذكر شيئاً آخر، عن تهديدات لك.»

بدت في عينيه نظرة مستطلعة: «وما الذي يعرفه تيري كايسي عن هذا الأمر؟»

فتملكها الهلع: «إذن فهذا صحيح؟ فأنت معرض إلى نوع من الخطر؟»

كانت على وشك استخلاص مزيد من المعلومات منه، عندما انفتح الباب ودخلت جورجينا حاملة الدب اللعبة الذي كانت أخذته معها إلى السرير، كانت الطفلة تدعك عينيها الناعستين: «انك ايقظتني، يا ماما، ظننتني اسمع صوت والدي يتحدث.»

احتضنت جيل ابنتها واخذت تزيح عن وجهها خصلات شعرها الأشقر: «لم يكن صوت والدك هو الذي سمعته، يا حبيبتي، وانما صوت صديقي الذي يستضيفنا في بيته هنا.»

نظرت إليه جورجينا بإمعان: «مرحباً.»

«مرحباً، يا جورجينا.» كانت كلماته دافئة، ولكنه كان ينظر اليهما، هما الاثنتين، بإزدراء، ما القضية يا ترى؟

«ميداس، لماذا تنظر الينا بهذا الشكل؟»

«إذن فهذا كان الثمن الذي قبضته؟»

لقد وضع الآن السبب في نظرته هذه، لقد ظن انها اعطت تيري مسودة المقالة ثمناً لاستعادة جورجينا، فهزت رأسها بعنف: «كلا، ليس الأمر كما تظن.»

فتجاهل قولها هذا: «هل والدها سيأتي الآن، ربما أفسدت عليك موعدك معه بمجيئي هذا مبكراً.»

«كلا بالطبع، لقد اخبرتك انني لا أريده ان يعثر عليّ.»

«ولكنه استطاع ذلك بشكل ما، يمكنك الآن ان تستمتعي بما صنعت.»

كيف بإمكانها ان تناقشه وجورجينا موجودة تستمع إلى كل كلمة؟

فتح الباب مرة أخرى، وبدا على العتبة رجل طويل القامة صلب البنية فولاذي النظرات، سرى الحذر في كيان جيل، ولكن ميداس لم ينزعج لحضور الرجل، فقال له: «لقد اخبرتك انني سأكون اسفل خلال دقائق قليلة، يا مايك، حالما احضر بعض حاجياتي.»

فقطب الرجل جبينه: «لقد انتهت الدقائق القليلة، يا سيد ثورن، كان يجب ان نكون في طريقنا الآن.»

في طريقهما إلى أين؟ ان ميداس لم يخبرها بعد عن الخطر الذي يحيط به، أو عمن يهدده. ما الذي يجري؟ وتشبثت بذراعه: «انتظر، لا يمكنك ان ترحل بهذا الشكل؟» فقال لها الرجل مايك: «ان علينا ان نرحل، يا سيدتي، فقد امضينا هنا وقتاً اطول مما يجب.»

من المؤكد ان اجتماع العمل يمكنه ان ينتظر حين تكون سلامة ميداس في خطر. فسألته وصوتها يختنق بالدموع: «ألا يمكنك ان تخبرني بسبب كل هذا قبل أن تذهب؟»

فهز ميداس رأسه: «عليّ ان اذهب، وانت أيضاً يجب ان ترحلي، خذي ابنتك وارحلا من هذا المكان الآن حالاً.»

«ألا يمكنني ان انتظر إلى ان تعود، على الأقل؟»

أمسك بكتفيها بشدة آلمتها: «كلا، أخرجي من هنا، هل سمعت؟ ليس لدي وقت للنقاش، إذهبي فقط.»

إذن فقد انتهى الأمر، لم يعد يريد ان يراها بعد الآن أو يسمع عن دورها في نشر الريبورتاج، فأومأت وقد أعمتها الدموع: «حسناً جداً، يا ميداس، اذا كانت هذه مشيئتك.»

بدا عليه وكأنه يريد ان يقول شيئاً، ولكن الرجل الآخر ربت على كتفه: «هيا بنا أرجوك.»

تنفس ميداس بعنف، ثم تركها واستدار قائلاً للرجل: «فلنذهب.»

انصفق الباب خلفهما، فتجاوب الصوت في انحاء المكان، وجدت نفسها تتساءل عمن يكون الرجل الآخر، لا بد انه شخص ذو أهمية، وذلك من الطريقة التي كان ميداس يتعامل بها معه، ربما كان شريكاً له في تصنيع الماس.

ولكن ما أهمية كل ذلك الآن؟ فقد طردها ميداس من حياته، حتى انه لم يسمح لها بأن تخبره عن نشرة إذاعة تيري والتي قد تحمل مفتاح القضية.

«ماذا جرى يا والدتي؟ لماذا تبكين؟»

كانت الدموع قد انهمرت على وجنتيها دون وعي منها إلى ان جاءت جورجينا واخذت تربت على يدها، فاغتصبت جيل ابتسامة، وقالت: «انني لا أبكي يا حبيبتي، وانما هناك شيء سقط في عيني.»

«لماذا طلب صديقك منا ان نذهب إلى بيتنا؟» كيف بإمكانها ان تشرح للطفلة ان ميداس يكره حتى رؤيتها، إذ يلومها لفعل شيء لم تقم به؟ وهزت رأسها: «لا أدري يا جورجينا ربما كان يظن اننا سنكون هناك اكثر سعادة، ماذا تظنين انت؟»

فهزت جورجينا رأسها: «انني احب هذا المكان، اريد ان العب مع الدمى بعض الوقت.»

ما هو الضرر في ان تبقيا عدة دقائق أخرى؟ فمن لهجة صديق ميداس، أدركت ان اجتماع العمل ضاغط عليهما، ما

يجعلها لا تتوقع عودتهما قبل فترة من الوقت، وهكذا قررت ان تدع جورجينا تلعب بالدمى بعض الوقت، كما ان بإمكانها ان تستغل هذا الوقت في حزم امتعتهما واصلاح زينتها.

حدثت نفسها بأن الدموع قد افسدت مظهرها، وذلك حين نظرت إلى وجهها في المرآة، لقد بدت في التسعين بينما كان شعورها وكأنها في المئة من عمرها.

كانت تصبغ شفتيها، عندما سمعت صيحة جورجينا من غرفة الجلوس وهي تقول: «انظري يا والدتي، لقد جاء والدي.»

شعرت بالألم يسري في كيانها، هل جاء تيري لينفذ وعده في اخذ جورجينا منها بالقوة؟ ثم ما لبثت ان سمعت صوته ينتشر من خلال شاشة التلفزيون، لا بد ان جورجينا فتحت التلفزيون، وتجاوبت كلماته في ذهنها: «راقبي اذاعة النشرة.»

وأسرعت إلى غرفة الجلوس، كانت جورجينا تراقب الشاشة: «انظري، انه والدي.»

«اعلم ذلك يا حبيبتي، خفضي من صوتك دقيقة واحدة.»

كان كل انتباهها مسمراً على الشاشة الصغيرة.

«... وقصة هذه الليلة تتضمن سلسلة من التهديد بالموت والتي وجهت إلى هذا الرجل.» وملأت الشاشة صورة لميداس. «رجل الأعمال البالغ الثراء، مايكل ميداس ثورن هو الليلة في حراسة الشرطة في مكان غير معروف حيث ان الشرطة تهتم بالتهديد هذا والذي يأخذونه بشكل جدي، بالنسبة للقصة الكاملة، انتظروني هذه الليلة في نشرة أخبار عالم كايسي الساعة الثامنة والنصف.»

دارت الغرفة بجيل، هنالك شخص ينوي إنزال الأذى بميداس، ان عليها ان تعثر عليه لكي تحذره، ثم ما لبث التعقل ان عاد إليها، فهو الآن في حراسة الشرطة، وذلك الرجل الذي أخذه بتلك السرعة لا بد انه حارس خاص له، انه سيكون بخير، انه كذلك فعلاً، ان حبها له من العمق، بحيث لن تدعه ينتهي بهذا الشكل.

شعرت بالعجز، وبرغبة ماسة لأن تكون معه، لكي تشاركه محنته هذه، ان رجال الشرطة يبذلون كل امكانياتهم، ولكن ماذا لو لم يكن ذلك كافياً؟

اعادت جورجينا الدمي وملابسها إلى الصندوق ثم قالت: «لقد انتهيت، يا والدتي، يمكننا ان نعود الآن إلى البيت.»

انخفضت على الأرض ثم اخذت الطفلة بين ذراعيها: «اتحبين ان تمضي هنا مدة أطول؟»

فالتمعت عينا الطفلة: «اتعنين ان ننام هنا؟ ألا يمانع صديقك في ذلك؟»

«لا اظن ذلك، في هذه الظروف.»

نظرت جورجينا إليها باهتمام: «ما معنى ظروف؟»

«انها تعني الأمور التي تحدث الآن، ونوع الأشياء التي هي الآن، من الأفضل ان نبقى هنا.»

«هذا حسن، انني احب هذا المكان.»

وهذا كما رأت جيل يجعلهما، هما الاثنتين، تعيستين، ان ميداس قد يثور غضباً عندما يعلم انهما مازالتا هنا، ولكنها لا تستطيع العودة إلى بالمين بينما هو تحت التهديد، ان عليها ان تبقى هنا في حالة حدث له... كلا... لا شيء سيحدث له، انها فقط ستبقى هنا.

رفضت ان تجعل مديرة المنزل تبقى هنا لكي تجهز لهما عشاء، مصرة على انها تفضل القيام بذلك بنفسها، فهذا سيشغلها عن التفكير اثناء انتظارها نشرة الأخبار.

بعد ان خرج الخدم، سخنت الطعام لها ولابنتها، ثم اخذته إلى غرفة الجلوس لكي تأكلا امام التلفزيون.

عادت نشرة الأخبار الثانية لتيري دون أي اخبار جديدة ما اضاف المزيد من التوتر اليها، كما ان النشرة الليلية العادية تحدثت عن التهديد هي أيضاً، ولكنها قالت ان الشرطة ليس لديها أثر يقود إلى المسؤول عن ذلك، وفي كل مرة كانوا يعرضون فيها صورة ميداس على الشاشة، كان قلبها يخفق جزعاً إلى ان شعرت بالغثيان يتملكها لشدة اللهفة، اخذت مخيلتها تتصور رجالاً دون وجوه يترصدونه، ثم يطرحونه أرضاً، بينما وجهه الوسيم ملطخ بالدم، لم يسبق ان شعرت قط بمثل هذا الخوف في حياتها، ولو ان ضرراً اصابه فجزء منها سيموت معه إلى الأبد.

ولكي تشغل نفسها اخذت تلتقط الألعاب المتناثرة، ثم غسلت جورجينا تعدها للنوم، ثم وضعتها في السرير الذي كانت هي قد نامت فيه سابقاً، واصرت ابنتها على ان تحكي لها والدتها حكاية قبل النوم، وهكذا ابتكرت لها واحدة من مخيلتها، قصة الفتاة الصغيرة والصبيان المسيطرين، لقد تعاطفت جورجينا مع البطلة، كما لاحظت الوالدة راجية ان تفهم الدرس.

وأخيراً، انكمشت جورجينا تحت اللحاف وهي تبتسم ناعسة فانحنت جيل عليها تقبلها، «تصبحين على خير.»

خفقت اجفان الطفلة: «تصبحين على خير، يا ماما.»

وعندها سارت جيل على اطراف اصابعها ثم خفضت النور وأغلقت الباب بهدوء. على الأقل، واحدة منهما يجب ان تنال بعض الراحة هذا اليوم، اما بالنسبة إليها هي، فالنوم لن يدخل عينيها لحظة واحدة.

وكانت في طريقها إلى غرفة الجلوس لتتابع مشاهدة التلفزيون، عندما سمعت نقراً على الباب الأمامي.

www.elmolouka.com

الفصل العاشر

قفز قلب جيل أيمكن أن يكون كل شيء قد انتهى؟ فسألت من وراء الباب المغلق: «هل هذا أنت يا ميداس؟» ولكن ما الذي يجعله يقرع الباب ما دام معه المفتاح؟

ورد عليها الصوت المألوف: «إنه أنا دانييل براساد.»

فتحت الباب وهي تشعر بالارتياح ربما يحمل اليها رسالة ميداس.

«أدخل، يا دانييل لشد ما أنا مسرورة لرؤيتك.»

تبعها إلى غرفة الجلوس حيث قبل منها ما قدمته إليه من عصير البرتقال.

ثم سألته: «هل سمعت الاخبار؟»

شرب العصير، ثم وضع الكوب على المنضدة.

«لقد سمعت. ما هو موقف السيد ثورن من ذلك؟ اظنه ليس هنا؟» وجال بنظراته في انحاء الغرفة، ثم عاد ينظر إليها.

فقالت: «إنه في حراسة مشددة إلى أن تكتشف الشرطة من هو وراء هذا التهديد. من تظنه يكون؟ هل احد شركائه في اعماله؟»

فقال بخشونة: «الأكثر احتمالاً هو أن يكون شخصاً يسبب هو له ضرراً في معاملاته.»

فاندفعت تقول بلهجة آلية: «ولكن ميداس لا يؤذي أي انسان كان عليك ان تعلم ذلك.»

«إنني مع الأسف لا أعلم ذلك.»

«كيف تقول ذلك؟ إن السيد ثورن هو من أرق واكرم الناس.»

فرفع يده يسكتها: «هذا يكفي اظنه خدعك أنت أيضاً كما خدع بقية الناس.»

كان في لهجته شيء غريب جعلها تنظر اليه بخوف: «ما الذي تقوله، يا دانييل؟»

«إنني أقول إنه ليس ذلك المحسن الكريم كما يريد أن يبدو. فهو متحالف مع بعض الناس الكريهين.»

هزت رأسها من جانب لآخر: «هذا ليس صحيحاً. بجانب من أنت، يا دانييل، على كل حال؟»

«إنني إلى جانب نفسي ولسوء الحظ، هذا ليس جانب ميداس ثورن.»

تملكها الخوف عندما اتضح لها ما يعنيه. فقالت تسأله: «إنه أنت من وراء هذا التهديد بالقتل، أليس كذلك؟»

«إنك ذكية جداً، يا سيدة كايسي. نعم فأنا أريد أن أراه ميتاً. فهذا هو العدل.»

«وأي أذى ألحقه بك ميداس؟ لقد اعطاك عملاً وبيتاً.»

فرد بحدة وعيناه تلتهبان: «انها فتات مائدة رجل غني، اتظنينني كنت دوماً خادماً حقيراً في فيجي. قبل الانقلاب، كان لدي طائرة مروحية خاصة لرحلاتي العملية، وكانت أسرتي تملك نصف العاصمة نادي.»

لم يسمح لها تشتت ذهنها ان تفهم شيئاً، فقالت: «وما دخل هذا بميداس؟»

«لا شيء في الأصل، فهو غير ملوم لهذا الانقلاب الذي تسبب بموت عدة اشخاص من أسرتنا، وتسبب بفقداننا

اعمالنا. ما أرغمني على الهرب بما استطيع ان احمله، وإلا لكنت الآن في السجن.»

فسألته: «هل كنت مجرماً؟»

ضحك بخشونة: «ان الشخص ليس بحاجة إلى اقتراف جرم، اثناء الانقلابات وتغير الأوضاع، لكي يعاقب، ان عليه فقط ان يكون ولد بلون مختلف.»

اخذت تنقب في ذاكرتها عن تفاصيل ذلك الانقلاب الذي كان حدث في فيجي، لقد كان التوتر بالغاً بين الفيجيين الأصليين وأولئك ذوي الأصل الهندي، لقد هرب الكثيرون من الفيجيين الهنود إلى بلاد أخرى، بعضهم إلى استراليا، وذلك بعد ان اصبحت فيجي جمهورية.

سألته وهي تتذكر ما كانت قرأت عن ذلك: «لا بد ان اسرتك قد تألمت كثيراً؟»

فبدت عليه الدهشة لهذا التعاطف معه، وأجاب: «لقد خسرنا كل شيء، وكنت حسن الحظ إذ استطعت ان أنجو بحياتي.»

«وأسرتك؟»

«لم يتمكنوا من الحصول على فيزا للحاق بي إلى هنا، وكان المفروض ان يرتب ميداس ثورن هذا الأمر، ولكنه لم يفعل شيئاً.»

وتألقت عيناه كالجمر، «والآن هل فهمت لماذا يجب ان اقتله؟»

فقالت بعد ان تذكرت اهتمام ميداس بذلك وهو يشرح لها المشكلة: «ان الذي اعلمه انه قد حاول ذلك، وانا واثقة من ان قضيتك ستنتهي على خير إذا انت صبرت عليه.»

«لقد كان لديه وقت كاف، انه يستطيع ان يقيم علاقات عمل مع امثال روبرت وايا، ولكنه لا يستطيع مساعدة أسرتي.»

فقالت محاولة اقناعه: «تلك المعاملات كانت ابتدأت قبل الانقلاب، وكان عليه ان يفي بوعده وإلا فلن يثق به أحد في اعماله بعد ذلك.»

«الحق معك تماماً، لا احد سيثق به بعد ذلك، لأنه لن يكون بإمكانه القيام بمعاملات أخرى، كان أملي في ان تدمير تشاركه مع الآخرين قد يكون كافياً، ولكن يبدو ان عليّ ان افعل اكثر من ذلك.»

تملكها الذهول وكلماته تخترق مخاوفها: «انك انت الذي اعطيت تيري المقالة، أليس كذلك؟» لقد اتضح كل شيء الآن، فاهتمام تيري المفاجيء بالطائرة، صداقته ومودته نحو دانييل، كل ذلك كان في سبيل تيسير مهمة دانييل هذه.

ولشد ما نجح ذلك، فقد كان دانييل هو الشخص الوحيد بعدها وبعد رؤساء العمل، الذي يعرف القصة كاملة، فإذا كان ثمة اتصالات كافية قد اجريت من الطائرة، وملفات كافية تتضمن أسرار العمل قد تبودلت بين مكان وآخر، ان بامكان دانييل ان يجمع التفاصيل معاً، وباطلاع تيري عليها، كان يأمل في ان يفشل اعمال ميداس، لعلمه بأن شركاءه لن يعجبهم نشر اعمالهم، ولكن هذا لم ينفع، وها هو ذا الآن قد نوى قتل ميداس.

اطلق دانييل ضحكة مبحوحة: «أراك فهمت الأمر، لقد كشفت فعلاً عن أسرار السيد ثورن، ظاناً ان هذا يكفي لكي ينسف اعماله إلى النهاية.»

فكان ان نسفت علاقتها مع ميداس إلى النهاية، ولكن دانييل لم يكن يعلم أو يهتم بذلك، فقد كان يريد الانتقام، إذ كان يلوم ميداس لكل مشاكله. واتجهت نظراتها إلى الهاتف... فقط لو ان بامكانها الاتصال بأحد، لينذر ميداس.

لا بد ان وجهها قد كشف عن افكارها لأن دانييل تقدم ليقف بينها وبين الهاتف، قائلاً: «اتريدين ان تتصلي بحبيبك؟»

انه يعتقد بأنها حبيبة ميداس، ومزقتها مشاعر حبها لميداس، وادراكها الفظيع بأن دانييل قد يستخدمها لتدميره، وانتصر اخيراً المنطق، ذلك ان ميداس لا يهمه أمرها كما تظن، انه... انه كان اخبرها بأن تخرج من هنا قبل ان يعود.

«لا بد انك تظنينني غبياً، يا سيدة كايسي، انني اعلم انكما حبيبان، أليس كذلك؟»

هل هذا يبدو بوضوح؟ كان من العبث ان تستمر في الأفكار، لهذا حنت رأسها: «نعم، انني احبه، ولكنه لا يحبني، يجب ان تصدقني.»

بدت على شفتيه ابتسامة شريرة: «سرعان ما سنضع هذا في الاختبار، أليس كذلك؟»

«ما الذي ستفعله؟»

كانت قد أدركت ما يجول في ذهنه، وقد اثبتت كلماته الأخيرة شكوكها.

«عليك ان تحضري ميداس ثورن إليّ، اظنه سيعود إذا هو أدرك ان حياتك في خطر، أليس كذلك؟»

شعرت بجفاف مؤلم في حلقها، فقالت: «وهل حياتي في خطر؟»

«اظن ذلك مع الأسف.»

مد يده إلى جيبه ثم اخرج مسدساً مخيف المظهر، وتملك نفسها الخوف: «هل ستطلق النار عليّ.»

«إلا اذا قمت بدورك كما يجب.»

لم تستطع إلا ان تومىء برأسها وعيناها لا تبارحان المسدس، وإذا باليأس يقبض على قلبها وهي تسمع صوت ابنتها من الغرفة الأخرى: «ماما، أريد ان أشرب.»

فاتسعت ابتسامة دانييل: «الأمر إذن افضل مما كنت اظن، هل هذه الطفلة من أقرباء السيد ثورن.»

«كلا، بل هي ابنتي.»

فأومأ وكأنما سره جوابها: «اعطيها لتشرب، ولكن عودي بسرعة ولا تجربي مهارتك بأي عمل، هذا إذا كنت تريدينها حية، وبعد ذلك اريدك ان تقومي باتصال هاتفي.»

ناولت ابنتها كوب الماء محاولة إطالة الوقت قدر امكانها، جورجينا التي سرعان ما عادت إلى النوم ما جعل جيل تتنفس بارتياح، وعندما لم تستطع التأخر اكثر من ذلك، عادت إلى غرفة الجلوس، وإذا بدانييل يطلب منها ان تخابر الشرطة لكي يحضروا ميداس إلى شقته هنا.

وعندما امتثلت لأمره، اجابها صوت هادىء يقول: «هل هددك أو هدد طفلتك؟»

«ان لديه مسدساً، ماذا ينبغي ان اصنع؟»

سمعت من آخر الخط شهقة، ثم: «امتثلي لما يطلبه منك إلى ان نصل اليك، ثم إياك...» وما لبثت ان سمعت صخباً في

الطرف الآخر، إلى ان سلم رجل الشرطة أخيراً الهاتف إلى شخص آخر.

«جيل، هل انت بخير؟»

سرى الضعف في اعضائها فاستندت إلى منضدة الهاتف: «آه، ما أحسن ان اسمع صوتك، انني خائفة للغاية.» وكانت قد توخت الحذر في ان لا تذكر اسم ميداس، ولكن دانييل انتبه إلى التغير في لهجتها.

«اظنني اخبرتك بأن تخرجي من الشقة.»

«اعرف هذا، ولكنني لم استطع ان أرحل بهذه السهولة.» وشعرت بالذعر، حتى الآن كل تفكيره كان منحصراً في طردها من الشقة، «يجب ان لا تحضر إلى هنا، مهما كان رأيهم فلا تجعلهم يحضرونك إلى هنا، أرجوك...»

وإذاً بدانييل يختطف الهاتف من يدها ثم يدفعها بعنف إلى الأريكة، ثم اخذ يتحدث في الهاتف: «انني اعرف انك هناك، يا ثورن، أرجو ان تستمع إليّ وليس اليها، وذلك لأجلها واجل طفلتها ان امامك ثلاثين دقيقة لتكون هنا.» ثم ألقى بالسماعة.

سألته بصوت مرتجف: «وكيف تعلم ان هذا الوقت يكفيه للحضور؟»

«لا اعلم، ان عليهم ان يتدبروا الأمر.» وأدخلت لهجته الآلية الذعر في قلبها، بدا وكأنه رجل آلي حريص على رسالته، انه حقاً ينوي قتل ميداس، وسينتهي كل شيء حالما يخطو هذا فوق عتبة الباب.

كادت تطلق ضحكة هستيرية، ان دانييل يظن ان حب ميداس لها سيغريه على القدوم إلى هنا... فكم هو مخطىء،

ذلك ان ميداس يكرهها. ففي وسط هذا الكابوس، مازال يأمرها بأن تخرج من حياته.

شعرت الآن بالأسف لعدم رحيلها لحظة أمرها بذلك فبدونها ما كان دانييل ليحصل على رهينة يستخدمها ضد ميداس. وبمكوثها هنا قد وضعته في خطر رهيب، لم تكن تهمها حياتها. ولولا جورجينا لحاولت الهرب، ان أي شيء كان افضل من البقاء هنا، في انتظار أن يتقدم الرجل الذي تحب إلى فخ تكون هي الطعم فيه.

مضت الدقائق المطلوبة، فقالت: «هذه ليست الطريقة الصحيحة، يا دانييل.»

فقال: «هذه هي الطريقة الوحيدة.» واخذ يعبث بصمام الأمان في المسدس، بشكل مخيف.

تسمرت نظراتها على المسدس: «أرجوك، ألا يمكنك التوقف عن هذا العمل؟ انني خائفة للغاية.»

«حسناً جداً.» وتملكها الذهول وهو يعيد صمام الأمان إلى وضعه الأول، انه لديه، كما يبدو بعض المشاعر الانسانية.

خطرت لها فكرة فقالت: «حدثني عن اسرتك، كم طفلاً كنت قلت لديك؟»

فانبسطت أسارير وجهه الجامدة إلى حد ضئيل للغاية: «ان لديّ أربعة اطفال، ثلاثة صبيان وفتاة، عمر الأولاد هو سبعة وتسعة وعشرة، اما عمر الطفلة فهو ستة.»

فقالت: «بنفس عمر ابنتي، وزوجتك؟ ما اسمها؟»

نظر اليها بحذر: «لا أريد ان اتحدث عنهم، انك تضيعين وقتك.»

«ألا تفهم؟ إذا انت قمت بما تنوي عمله، فقد لاتراهم بعد ذلك أبداً، ستكون هنا في سجن استرالي، ولن يستطيعوا زيارتك أبداً، وربما لسنوات.»

فهز كتفيه: «لا يهم ما يجري لي، فان أولادي سيعلمون بأنني ضحيت بحياتي لأجلهم.»

كان يبدو وكأنه لا يهتم سواء مات أم عاش، اغمضت عينيها وقد تملكها اليأس، كيف يمكنها ان تقنع مثل هذا المتعصب؟ واخذت تغالب دموعاً هددت بالإنهمار وهي ترتجف خوفاً.

«كفي عن هذه الضجة.» قال ذلك بحدة وهو يقف، أتراه سمع شيئاً؟ وكاد قلبها يكف عن الخفقان لفكرة ان ديماس قد يكون حضر.

سار دانييل إلى الباب، وهو يمسك بالمسدس امام صدره، ولأول مرة ترى جهاز كاتم الصوت في نهاية الماسورة.

اقترب من الباب صائحاً: «من هناك؟»

«ميداس ثورن.»

آه، كلا، ولم تنتبه إلى انها قفزت واقفة حتى أشار اليها بالجلوس، فجثمت على حافة الأريكة وقلبها يخفق بألم، كيف يمكنها ان تجلس هنا بينما ميداس مهدد بالقتل؟ ان عليها ان تقوم بشيء، ولكن بماذا؟

اخذ مفتاح يتحرك في القفل، فشهر دانييل المسدس إلى ان اصبح في موازاة وسط الباب.

وببطء، وأشبه بصورة في حلم، انفتح الباب بسرعة وبدا في العتبة رجل طويل عريض الصدر، لمحت العينين

السوداوين المتألقتين والشعر الأسود القاتم، وكانت البذلة الكحلية اللون والقميص المخطط مألوفين لديها إلى درجة مؤلمة، وكذلك ربطة العنق الحمراء التي كان يضعها حين غادر البيت عصر هذا اليوم.

استوعبت هذا كله في جزء من الثانية قبل ان يضغط إصبع دانييل على الزناد. عند ذلك أدركت ما عليها ان تقوم به، وبصرخة معذبة، ألقت بنفسها بين دانييل وميداس، وهي تصرخ: «كلا، لا تدخل.» دافعة ميداس بكل قوتها إلى الخلف في الممر، ولم تكن لتؤثر على بنيته العضلية، ولكن قوتها الدافعة جعلته يرتد إلى الخلف، فتطيش الرصاصة التي اطلقها دانييل، وتخترق ورق الجدار فوق رأس ميداس.

وسرعان ما كانت يدان قويتان تحيطان بها وتجنبها بعيداً عن مرمى النار، وكان هناك صوت آخر هو لرصاصة أخرى مكتومة الصوت تبعه شجار ومسدس يرمى بعيداً على السجادة ليستقر قرب قدمي جيل، وفجأة إذا برجال ينتشرون في كل مكان، وكان هناك واحد منهم يلتقط المسدس من على الأرض بمنديل حرصاً على البصمات، بينما كان رجل آخر يسير مع دانييل خارجاً به من الشقة ويداه مرفوعتان خلف رقبته. وكانت الذراعان القويتان ماتزالان تمسكان بها بعد ان انهارت تماماً وهي تسأل: «هل انتهى الأمر؟»

فأومأ الرجل الذي كان يمسك بدانييل برأسه عابساً وهو يقول: «لقد انتهى شكراً لك يا سيدة كايسي.»

شكراً لها؟ وأدركت فجأة انها كانت انقذت الرجل الذي

تحب، واخذت تلتهم بنظراتها منظر حبيبها واقفاً سالماً، وظهره اليها وهو يتحدث إلى شخص ما في الشقة، فأخذت تجاهد للخلاص من بين الذراعين اللتين تحيطان بها: «دعني اذهب، عليّ ان اذهب إليه.»

لكن الغريب ان الذراعين اللتين كانتا تطوفانها قد اشتدتا حولها: «اريد ان اقول لك شيئاً عن ذلك.»

رفعت بصرها بحيرة... كان الرجل الذي يمسك بها مرتدياً كنزة وبنطلون جينز غير مألوفين ولكن الوجه الذي كان منحنياً عليها ينظر اليها بحب، هو وجه ميداس، وحولت نظراتها إلى الرجل ذي البذلة الكحلية: «لكنني ظننت...»

«ظننته أنا، اعلم ذلك، انه من رجال الشرطة، مرتدياً ثيابي وصدرية ضد الرصاص تحت القميص، حالما علمت انك في الداخل مع ذلك الرجل المجنون، أردت ان احطم الباب بيدي الخاليتين، ولكن رجال الشرطة اصروا على القيام بذلك على طريقتهم الخاصة، ولكنهم لم يضعوك في الحسبان.»

تمسكت بميداس وهي لا تكاد تصدق انه نجا من الخطر.

وتقدم منهم احد رجال الشرطة: «هل هي بخير؟ هل استدعي الطبيب للصعود إلى هنا؟»

فقالت وهي ترتجف: «انني بخير ولست بحاجة إلى طبيب.» كل ما كانت تريده ان تشبع نظراتها من شخص ميداس، لقد نجا وهو الآن في امان ولا شيء غير هذا بمهم، وسمحت له بأن يعيدها إلى الشقة ثم يضعها على الأريكة. رفع ذقنها بيده لتواجهه، ثم سألها: «كيف حال جورجينا؟»

ضحكت وهي ترتجف: «لقد كانت نائمة طوال هذه الأحداث، كان الذعر يتملكني خوفاً من ان تستيقظ وتخرج من غرفتها.»

وإذ رآها ترتجف، قال لها مواسياً: «لا بأس، لا تعودي إلى التفكير في هذا لأمر، فقد انتهى الآن.»

وفكرت باكتئاب بأنه انتهى حقاً، والآن بعد ان قبض على دانييل واصبح ميداس آمناً، فسيتذكر انه ما كان ينبغي لها ان تكن هنا، انه أمسك بها ومازال معها فقط لشعوره بالعطف عليها، تماماً كما سيفعله أي رجل آخر مع ضحية ورطة كهذه حتى ولو لم يكن على معرفة بها.

تحركت وهي تقول: «اظن ان رجال الشرطة يريدون التحقيق معي.»

فقال: «يمكن لذلك ان يتأجل إلى الغد، وسآخذك لرؤيتهم بنفسي.»

قابلت عينيه بعينيها الكئيبتين وهي تسأله: «إذن فلا مانع لديك من بقائي هنا ليلة أخرى؟»

«آه، كلا بالطبع، ولماذا تظنين ان لدي مانعاً في ذلك؟»

«ولكنك طلبت مني الرحيل، انني اعلم انك لا تريدني ان ابقى هنا، ولكن قلبي لم يطاوعني على الرحيل وانا اعلم انك في خطر.»

فتأوه قائلاً: «ان السبب الوحيد الذي جعلني اطلب منك الرحيل هو هذا الخطر، حين ان الذي هو وراء التهديد لم يكن معروفاً، شددت الشرطة على كتمان هذا الأمر، ولهذا لم استطع ان اقول لك سوى ان تخرجي من هنا، فلو انك رحلت عندما طلبت منك ذلك، لما حدث كل هذا.»

«لا أراك ظننت انني مشتركة في هذا الأمر، أليس كذلك؟»

«لقد اخبرت رجال الشرطة انه لا دخل لك في هذا، وإذا بك تثبتين ذلك بمحاولتك انقاذ حياتي.»

«ليس حياتك، بل حياة الطعم الذي اتخذ شخصيتك.»

«ولكنك لم تكوني تعرفين ذلك، وعندما اتذكر كيف وضعت نفسك بيني وبين الرصاصة، يجمد الدم في عروقي، هل يهمك أمري حقاً إلى هذا الحد؟»

«اكثر مما تتصور» وقالت بعد ان لم تعد تهتم بما إذا كان يرحب بما تقوله أم لا، قالت ببساطة: «انني احبك، كنت اعلم ان حبي هذا لن يؤدي بي إلى شيء، ولكن لم يكن بإمكاني تغيير مشاعري.»

لقد انكشف كل شيء الآن. أخذ يحدق بها مذهولاً غافلاً عن رجال الشرطة الذين كانوا يحومون حولهما. ثم قال: «لماذا عليك ان تغيري من مشاعرك؟»

«لأن من المفروض ان تكون علاقتنا مجرد تمثيل، وعندما أدركت ان الأمر لم يعد تمثيلاً، كان الأوان قد فات، فقد كنت وقعت في غرامك.»

«ولماذا لم تخبريني عن هذا؟»

«لم اظن انك تريد سماع ذلك، وبدا ان ظهور المقالة كانت هي القشة الأخيرة التي قصمت ظهر البعير، وعندما طلبت مني الرحيل، كنت واثقة من انك تكرهني.»

«هذا ليس صحيحاً ابداً، يا عزيزتي، ليس صحيحاً على الاطلاق، اظنني احببتك منذ اللحظة التي اجتمعنا فيها عند سلم الطوارىء.»

امتلأت نفسها دهشة وهي تنظر اليه: «أنت... تحبني؟ ولكن... ولكنني صحافية، عدوة... هل نسيت؟»

نظرت إلى ملامحه فرأتها اكثر سهوماً من أي وقت مضى، وتشابكت نظراته المعذبة مع نظراتها، فأخذت تتساءل عما اذا كانت قد دمرت تعاطفهما الهش هذا بتذكيره بذلك، ولكنه هز رأسه قائلاً: «كلا، انك لست العدوة، لقد خدعت نفسي طويلاً.»

ما الذي كان يريد قوله؟ اخذت تمعن فيه النظر بحيرة: «لا افهم، فان لك كل الحق في ان تكره مهنتي، بعدما حدث لزوجتك وابنك.»

وقبل ان يجيب، قاطعهما قائد الشرطة: «انني اكره ان اقطع عليكما اجتماعكما السعيد هذا، ولكننا فرغنا من عملنا هنا، يا سيد ثورن.»

مد ميداس يده اليه مصافحاً: «شكراً لكل ما قمتم به، يا مايك.»

مايك؟ وعرفت فيه الرجل الذي كان قد صحب ميداس إلى الشقة من قبل، وابتسم الرجل مجيباً: «اتمنى لو ان كل اعمالنا لها مثل هذه النهاية السعيدة، ما يجعل عملنا أيسر.»

سألت مايك: «وماذا سيحدث لدانييل؟»

«انه سيحاكم، بالطبع، ولكن إذا وجد مذنباً، فسيعاد إلى فيجي، بدلاً من ان يسجن هنا.»

وجدت نفسها تتمنى ذلك، لقد كان اسلوبه خاطئاً، بالطبع، ولكنها كانت تشعر اكثر من أي انسان آخر بحالته النفسية التي ألجأته إلى ذلك، انهم اذا أرسلوه إلى فيجي فهو سيكون قريباً من أسرته، على الأقل.

بقيت جالسة على الأريكة بينما كان ميداس يودع رجال الشرطة، وكانت الشقة قد غرقت في الفوضى بعد هذا الغزو، ولكن لا شيء عاد يهمها ما دامت مع ميداس الآن، لقد قال انه يحبها، هل كان ذلك من وحي انفعاله الآني، أم انه كان صادقاً في ذلك؟ لقد انقذت حياته، فهل تراه يقول ذلك من باب شعوره بعرفان الجميل وبأنه مدين لها؟

ولكن ما ان اغلق ميداس الباب خلف رجال الشرطة، حتى سمعت صرخة من خلف باب غرفة النوم: «ماما، اظنني سمعت ضجة.»

اخذت الطفلة بين ذراعيها، ملقية على ميداس نظرة تحذير: «لا شيء هناك يا حبيبتي، انه صوت التلفزيون ويمكنك ان تعودي إلى النوم الآن، تعالي لأضعك في الفراش.»

عادت الطفلة إلى فراشها دون احتجاج، قالت لها والدتها وهي تقبلها: «نامي، يا حبيبتي وانني في الغرفة الأخرى اذا احتجت اليّ.» وعندما استدارت عائدة إلى الغرفة الأخرى، جاء ميداس ووقف خلفها ينظر إلى الطفلة النائمة، وهو يقول: «انها لن تعرف قط ما فاتها.»

فقالت: «أرجو ذلك.»

ثم اتجها بهدوء إلى غرفة الجلوس، وعندما عادا إلى الجلوس، قال لها: «ان ما لا أفهمه هو سبب وجودها هنا.»

اخذت تحدثه كيف وجدت تيري مع صديقته جينيفر، ثم قالت: «لم استطع ان اتركها تتربى في بيئة كهذه، ولكن عندما افكر في الخطر الأسوأ الذي عرضتها له...» وارتجفت.

فقال: «لو كان حدث شيء، فان زوجك السابق هو الملام، وليس انت.»

«تيري؟ ولماذا؟»

«لأنه كان قد علم بالتهديد الذي وجه إليّ وذلك قبل أي شخص آخر، فكان بامكانه ان يحذرك من دانييل، وذلك لكي تبعدي جورجينا إلى مكان آمن.»

زايلها شيء من التوتر، وقالت: «نعم، هذا صحيح، كان بامكانه ذلك، كان بامكانه على الأقل ان يخبر الشرطة بما يعلم، بدلاً من السماح بحدوث ما حدث، ولكنه لم يفعل، فرواية القصة في برنامجه التلفزيوني كانت أهم لديه من سلامتنا.»

قال ميداس: «وكان دانييل هو الذي أعطاه المعلومات عن طريقتنا في تصنيع الماس.»

«هل علمت الآن انه ليس انا من فعل ذلك؟»

«عندما وجدت وقتاً افكر في ذلك، اصبحت واثقاً من انك لا يمكن ان تقومي بمثل هذا الخداع، وهكذا فكرت بزوجك السابق، لقد كان تملكني القلق من ناحية دانييل منذ بعض الوقت، إذ كنت ادرك نوع شعوره نحو أسرته، ولكن لم يكن لديّ فكرة عن مقدار اقترابه من نقطة الانهيار هذه.»

فقالت: «لا بد ان تيري اكتشف حالة دانييل العقلية، ولكنه لم يفعل شيئاً إزاء ذلك.»

ضحك ميداس بجفاء: «ربما رغبته في سكوتنا عما فعل، تجعله يقبل ان يترك لك الوصاية على جورجينا.»

فلمعت عيناها: «نعم، ربما هذا ما سيفعل.» كانت تعلم ان تيري من التفاهة بحيث يقبل بذلك في سبيل ان يسكتا عنه،

وقد اصبح يعلم الآن كيف ان وجود ابنته في بيته يمنعه من الاستمتاع بأمثال جينيفر في طريقة حياته، وربما شعور الأبوة قد فقد شيئاً من جاذبيته لديه، وتصاعد الأمل لديها، ان ميداس وحده الذي يمكنه اقناع تيري.

قال ميداس: «اظنني سأحب ان تكون لدي أسرة جاهزة، اتظنين ان جورجينا ستقبل بي وصياً عليها؟»

قالت جيل بخجل: «انها ابنة والدتها، فنحن دوماً نحب نفس الشيء.»

«إذن، فستتزوجينني؟»

نظرت اليه بقلق: «هل انت واثق من انك تريدني حقاً؟»

«لا تخبريني بانك مازلت تشكين بي، فأنا لا احتمل خسارتك الآن.»

«ليس لديّ شك بمشاعري، ولكنني اظنك انت كذلك، فأنا مازلت صحافية يا ميداس، ان بإمكاني ان اتخلى عن مهنتي، ولكن هل انت واثق من انها لن تكون بيننا تفرقنا شعورياً؟»

«ابداً، وهذا ما كنت اريد ان اخبرك به عندما قاطعنا مايك، فقد كنت ألقي اللوم لموت يولاند على من هم غير مسؤولين عن ذلك.»

«لا أفهم.»

فكر لحظة، ثم قال: «لقد كنت مذنباً في ذلك كغيري، ذلك انني عندما تزوجت يولاند، كنت اعلم انها فتاة قروية بسيطة، فكانت حياتنا سعيدة طالما كنا نعيش في مدن المناجم الصغيرة، وعندما اتسعت اعمالي، لم تشأ الانتقال إلى مدينة كبيرة كالعاصمة، ولكنها أرغمت نفسها على ذلك

لأجلي، ولأنها لم تكن تشكو، فقد ظننتها اعتادت على ذلك.»

وعادت إلى ذاكرة جيل صور يولاند، لقد كانت انطباعاتها صادقة إذ تكهنت بأن يولاند لم تستطع تكييف نفسها مع نجاح ميداس، فسألته: «وماذا بالنسبة إلى طفلك؟»

«لقد كان حمل يولاند في البداية ينتهي دوماً بالإجهاض، ولكنها بقيت تحاول الحمل لكي ترضيني، رغم انني كنت أؤكد لها انني سعيد في حياتنا كما هي، ولكنها كانت في منتهى السعادة عندما ولد مايكل الصغير، كانت من السعادة بحيث ظننت ان الحق كان معها، ثم ما لبثت ان اصيبت بحالة اكتئاب فظيعة لم ينفع معها علاج، فلو كنت اقنعتها بعدم الحمل، لربما كانت ماتزال حية حتى الآن.»

فقالت تواسيه: «حتى ولو كنت نجحت في اقناعها، لما اختلفت الأمور.»

فقال بمرارة: «ربما لن اعرف أبداً، أليس كذلك؟»

تمنت لو تستطيع الترفيه عنه وتبديد الألم الذي تراه في عينيه وهو ينظر اليها قائلاً: «وهكذا ترين انه لا يمكنني ان ألقي كل اللوم على رجال الصحافة الذين لحقوا بنا إلى مصيف خليج بايرون، فقد كانوا يقومون بعملهم فقط، كان عليّ ان اكون اكثر تيقظاً إلى الحالة العقلية التي كانت هي فيها، لقد واجهت الحقيقة هذه الليلة، اثناء قلقي عليك.»

فقالت برقة: «لقد انتهى كل شيء الآن، ألا يمكنك ان تصفح عن نفسك وتتابع حياتك؟»

«انه عبء ثقيل للغاية، ولكن اصبح لدي الآن سبب للمحاولة.»

تشوش ذهنها ولم تستطع ان تفهم، بالضبط، ما يعني بكلامه هذا، انه لم يوجه إليها لوماً، أو لمهنتها، بالنسبة لخسارته، لقد تهاوى آخر حاجز بينهما، وتملكتها السعادة: «آه، يا ميداس، ما اشد حبي لك، وان مما يحطم قلبي ان أراك تلوم نفسك لأجل هذه المأساة التي لم يكن بإمكان أحد ان يعلم بها، لقد فعلت يولاند ما تريده مهما كانت نتيجته، لقد أرادت ان تجعلك سعيداً وانا واثقة من ان هذا هو ما تريده لك الآن.»

فقال: «قولي إذن انك تريدين ان تتزوجيني، فلا شيء يسعدني اكثر من ذلك.»

تلاشت آخر شكوكها، فما داما مغرمين ببعضهما البعض، فقد اصبح لديهما كل ما هما بحاجة اليه لكي يشرعا في حياة مليئة بالسعادة معاً.

فقالت: «نعم، نعم، ونعم أيضاً.»

انه يحبها كما تحبه، ولن يقف بينهما عائق بعد الآن...

تمـــت